جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات إسلامية
سلسلة تصدر
فى منتصف كل شهر عربى
العدد (٢٠٨)



مدخل إلى التعليم فى ضوء الإسلام

أ.د / طلعت محمد عفيفى

القاهرة
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات إسلامية
سلسلة تصدر
فى منتصف كل شهر عربى

مدخل إلى التعليم فى ضوء الإسلام

أ.د / طلعت محمد عفيفى

العدد (٢٠٨)

القاهرة

منتصف ذو القعدة ١٤٣٣هـ ـ أكتوبر ٢٠١٢م

يشرف على إصدارها

أ. د . طلعت محمد عفيفى

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أ . د . محمد نجيب عوضين المغربى

أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الاشتراكات: يخاطب بشأنها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

٩ شارع النباتات ــ جاردن سيتى .

قيمة الاشتراك السنوى (داخل مصر) ثلاثون جنيهًا (١٢ عددًا).

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقـين، ولا عـدوان إلا علـى الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله شهادة نحيا بها، ونموت عليها، ونلقى الله بها.

وبعـد..

لا يخفى على أحد ما يؤديه التعليم من دور فعّال فى تشكيل عقليـة الأمم وصناعتها ــ أفرادًا وجماعات ــ فهو ــ كما يقول المفكر الإسلامى محمد إقبال: "الحامض الذى يذيب شخصية الكائن الحى، ثم يكّونهـا كمـا يشاء.

ويضيف قائلاً: "إن هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيرًا مـن أى مـادة كيميائية، هو الذى يستطيع أن يحّول جبلاً شامخًا إلى كومة تراب" (١).

ويقول أرازموس ــ أحد خبراء التعليم فى الغرب ــ: "سلّمنى إدارة التعليم ردحًا من الدهر أتعهد لك بأن أقلب وجه العالم بأسره" (٢).

والأقوال فى هذا المعنى كثيرة.

---

(١) روائع إقبال، ص٧٧، أبو الحسن الندوى ــ طبعة رابعـة سـنة ١٩٨٣م ــ مجلـس نشريات إسلام ــ باكستان.

(٢) دراسات فى أصول التربية (٤٣٢) ــ د/ محمود قمبر وآخرون ــ طبعة أولى سـنة ١٩٨٩م ــ دار الثقافة ــ الدوحة ــ قطر .



ولئن كان التعليم ذا أهمية فى كل زمان ومكان فإن أهميته وتـأثيره فى هذا العصر أكثر من ذى قبل، وذلك لعدة أسباب:

أ ــ أن التعليم بات يشغل معظم أوقات الإنسان وزهرة عمره، فهـو يتلقفه وليدًا فى الحضانة ورياض الأطفال، ويستمر معه حتى نهاية الدراسة الجامعية فى الغالب.

ب ــ أن المؤسسات التعليمية أصبحت فى العصر الحاضـر أكثـر عمقًا من تأثير البيت والأبوين، وذلك بحكم الـضغوط الاقتـصادية التـى لا يخلو منها بيت، مما اضطر معه رب الأسرة إلى بذل المزيد من الجهد لتحصيل لقمة العيش، وكذلك عملت أجهزة الإعلام المختلفة على اسـتراق أوقات الناس، مما شغل الآباء عن أبنائهم، وجعـل المـؤثر الأكبـر فـى تشكيلهم وتربيتهم هو نوع التعليم الذى يتلقونه.

وانطلاقًا من هذا فإن دَوْر التعليم من الخطورة بمكان، فهو بالنـسبة لأية أمة قضية الوجود والعدم، وقضية الحياة والموت.

ولم يكن للإسلام، وهو الذى استوعب قطاعات الحيـاة كافـة ــ أن يهمل هذا الجانب المهم فى حياة الإنسان، بل نرى تعـاليم الإسـلام قـد استوعبت هذا الجانب تمامًا، ووضعت الأُطر الـسليمة التـى اسـتهدفت استثمار التعليم من أجل تحقيق الغاية التى لأجلها خُلق الإنسان فـى هـذه الحياة، وهى عبادة الله تبارك وتعالى.

وفى محاولة للتعرف على ملامح المنهج الإسلامى فيما يتعلق بقضية التعليم كانت فكرة هذا البحث، والذى أسميته:

(مدخل إلى التعليم فى ضوء الإسلام)

وتبدو أهمية هذا البحث ــ بالإضافة إلى ما سبق ذكره ــ فيما يلى:

١ــ أن التعليم فى بلاد المسلمين قد ابتعد عن جوهر الإسلام، وتبنّى النظرية الغربية، مما نتج عنه زعزعة الصلة بين المسلم ودينه،وغربة الإسلام فيما بين المسلمين.

وهذا ما جعل الكثيرين يؤكدون على أن أزمة الأمة الإسلامية الكبرى فى الوقت الحاضر إنما هى أزمة فكرية، وأن العلاج ينبغى أن يبدأ من هذا المنطلق [١].

---

(١) من الكلمات التى قالها المفكرون المسلمون إشارة إلى هذه الحقيقة نورد هذه الكلمات:

١ــ يقول الأستاذ أنور الجندى فى رسالة له بعنوان: "التربية الإسلامية هى الإطار الحقيقى للتعليم":"إن الخطر الحقيقى الذى واجهته الأمة الإسلامية إنما بدأ من التعليم، وإن اليقظة الحقيقية إنما تبدأ منه".

٢ــ وفى رسالة للعلامة أبى الحسن الندوى بعنوان (الأمة الإسلامية. وحدتها ووسطيتها وآفاق المستقبل) يرى أن إصلاح التعليم على أسس إسلامية هو قضية العالم الإسلامى الكبرى، وضرورته القصوى، ونداء الوقت، وفريضة الساعة.

٣ــ ولم يكن هذا اتجاه الأفراد فقط، بل اتجاه المؤتمرات والندوات أيضًا. ففى عام ١٩٧٦م عقدت ندوة موسعة فى أوروبا جمعت بين أهم قادة العمل الإسلامى فى الشرق والغرب، مع كثير من العلماء فى مختلف التخصصات، وطُرِحَتْ فى ساحة هذا اللقاء مختلف الآراء والتصورات، واستعرضت حصيلة مختلف التجارب والخبرات، وجرت مناقشات مطولة فى جوانب الأمر استغرقت أسبوعًا كاملاً، أكد المؤتمرون بإجماعهم فى نهاية ندوتهم تلك بأن أزمة الأمة الكبرى فى الوقت الحاضر إنما هى أزمة فكرية، وأن العلاج ينبغى أن يبدأ من هذا المنطلق، وأنه لا بد وأن تعطى قضية الفكر ومنهجه الأولوية اللازمة كأساس لإنجاح جهود الإنقاذ والإصلاح.

ونفس النتيجة وصلت كل المؤتمرات الإسلامية التى عقدت لمناقشة قضايا التربية والتعليم. انظر: (إسلامية المعرفة)، ص١٦ ــ إصدار المعهد العالمى للفكر الإسلامى سنة ١٩٨٦م.



٢ــ أن كثيرًا من المسلمين يظنون خطأ أنه لا علاقة للإسلام بالتعليم ككل، وأنه يكفينا من الإسلام مادة الدين، دون طمع فيما هو أكثر من ذلك.

وفى هذا البحث بيان خطأ هذا الرأى، وإيراد الشواهد على ذلك.

هذا؛ ويشتمل البحث على: **مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة.**

أما المقدمة فقد اشتملت على أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وعناصر البحث فيه.

وأما **الفصل الأول** فقد جاء بعنوان **(الإسلام والعلم)** وتناول قضية العلم من حيث مكانته فى الإسلام، واهتمام الإسلام به تعلمًا وتعليمًا، ودعوته إلى ارتباط العلم بالإطار العام للإسلام، وبيان الآثار النافعة من وراء ذلك.

وأما **الفصل الثانى** فقد جاء بعنوان **(مقومات التعليم الإسلامى)** وتناول مقومات التعليم الإسلامى من المدرس والمنهج والمؤسسة التعليمية، وأهمية كل منها فى هذا المجال، والأسلوب الذى ينبغى اتباعه فى كل منها لخدمة قضية الإسلام.

وأما **الفصل الثالث** فقد جاء بعنوان **(التعليم المعاصر.. رؤية إسلامية نقدية)** وتناول التعليم المعاصر وبيان مدى التزامه بتعاليم الإسلام، ومدى تأثير المنهج الغربى فى كل جزئياته، مع التعرف على خطورة التقليد فى هذا الجانب، والآثار السيئة الناجمة عنها.

وأما **الخاتمة** فقد اشتملت على نتائج البحث، وأهم التوصيات فيه.

والله تعالى أسأل أن يعيننا على السداد والصواب، وأن يغفــر لــى ولوالدىَّ، وأن يجزى عنى أساتذتى خير الجزاء، فإنه ولى ذلك والقــادر عليه.

وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

المؤلــف

الفصل الأول

الإسلام والعلم

ويشتمل على المباحث التالية:

١ـ مكانة العلم فى الإسلام.

٢ـ دعوة الإسلام لطلب العلم وتعليمه.

٣ـ غاية العلم فى الإسلام.

(١)
مكانة العلم فى الإسلام

لا يوجد دين أشاد بالعلم، ورفع من قدره، وأعلى من منزلتـــه مثــل الدين الإسلامى.

ويتضح ذلك ـــ جليًا ـــ من خلال النصوص الكثيرة التى وردت فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وأقوال السلف الصالح، والتــى يــضيق المجال عن استيعابها، والإحاطة الشاملة بجميعها، فى الوقت الذى نرى فيه أسفار العهد القديم والعهد الجديد خالية عن الكلام عن العلم والنظر والفكر والبرهان، أو ما اشتق منها أو تفرَّع عنها.

وحتى يتضح المقال بالمثال أشير إلى بعض ما ورد فى هذا الــشأن، وأبدأ بما ورد فى كتاب الله تعالى.

أ ـــ كان النداء الأول الذى ربط الأرض بوحى السماء أمرًا من الله بالقراءة ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ (١). وتلا هذا الأمر الإلهى آيات معدودات تسمو بقيمة العلم، وتشيد بالقلم ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى

(١) العلق: ١.



خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ (١).

وفى كون الوحى الأول يبدأ بكلمة (اقرأ) ولم يبدأ بقوله (اعبد) أو (صلّ)، وكون النبى الذى نزل عليه القرآن أميًا، والبيئة التى نشأ فيها بيئة أمية، لا يعرف القلم فيها إلا القليل، كل ذلك يؤكد على اهتمام هذا الدين بالعلم، ولفت الأنظار إلى مكانته ومنزلته فيه.

ب ــ أقسم الله تعالى فى كتابه الكريم بالكثير من مخلوقاته تنويهًا بشأنها، وإعلاء لقدرها.

ولئن كانت أداة العلم قلما يكتب به، ومدادًا، ومادة يُكتَب عليها، فإن الله تعالى أقسم بهذه الأشياء كلها، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾ (٢). وفى قوله: ﴿ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَـٰبٍ مَّسۡطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾ (٣).

وكان القسم بالقلم فى صدر ما أقسم الله به من مخلوقاته، وذلك فى سورة تُسَمَّى باسمه.

---

(١) العلق: ١ــ٥.

(٢) القلم: ١.

(٣) الطور: ١ــ٣.

وفى هذا دلالة ثانية على عناية الإسلام بالعلم، والسمو بمنزلته.

ج ــ فى صدر سورة الرحمن ــ والتى اشتملت على العديد من نعم الله علينا ــ يقول الله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۞ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾ (١).

ويلاحظ أن كلمة (عَلَّمَ) وردت مرتين فى آيتين متقاربتين، وذكر بين الآيتين نعمة خلق الإنسان، وفى ذلك ما يفيد أن من أهم ما كُلِّفَ به الإنسان، وميزه به خالقُهُ نعمة العلم.

ويؤيد ذلك ما جاء فى قصة خلق آدم عليه السلام فى سورة البقرة، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۞ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۞ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ (٢).

---

(١) الرحمن: ١-٤.

(٢) البقرة: ٣١ــ٣٣.



والقصة تدل على أن الله سبحانه وتعالى ميَّز آدم على من سواه من المخلوقات بميزات ليست فى غيره، ولما اقتضى الأمر إظهار هذه الميزات لبيان فضل آدم وشرفه واستحقاقه للخلافة فى الأرض أظهر الله لهم أحسن ما فيه وهو العلم، فدل ذلك على أن أهم ما يميز الإنسان ويعلى قدره إنما هو العلم.

وفى هذا دليل ـ يضاف إلى ما سبق ـ على احتفاء الإسلام بالعلم، وإعلاء شأنه ومنزلته.

ومن الإشارات القرآنية الدالة على احتفاء الإسلام بالعلم ما نراه فى كتاب الله تعالى من الحديث المستفيض عن العلم والفقه والنظر والبرهان والحكمة والعقل، حتى إن كلمة (علم) وحدها وردت ـ بتصريفاتها المختلفة ـ فى عدد من آيات القرآن يقترب من التسعمائة آية، فى الوقت الذى وردت فيه آيات عديدة تذم الجهل وتحذِّر منه.

وذلك كقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ [1].

وقوله: ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ [2].

وقوله: ﴿ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ [3].

وغير ذلك وغيره.

---

(١) الأنعام: ٣٥.

(٢) البقرة: ٦٧.

(٣) هود: ٤٦.

ولا تزال هناك جوانب أخرى كثيرة فى كتاب الله تعالى يُستَنبطُ منها الإشادة بالعلم وأهله، لكنى أكتفى بما ذكرت من هذه الإشارات خشية الإطالة(١).

وإلى جانب ما ورد فى القرآن الكريم من آيات تعلى من قيمة العلم حفلت السنة بالكثير من الأدلة التى تساق لنفس الغرض.

وكما فعلنا مع آيات القرآن نفعل مع السنة، فنورد بعض ما ورد فيها:

أ ـ وأول ما يطالعنا فى هذا المجال ما ورد فى السنة من كون العلم فرضًا على المسلمين جميعًا، ففى الحديث: **[طلب العلم فريضة على كل مسلم]** (٢).

ولئن كانت كلمة "مسلم" تعنى كل من آمن بالإسلام ـ ذكرًا كان أو أنثى ـ فإن ثمة روايات تذكر الأنثى بالنص، ومن ذلك قوله ﷺ: **[ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ،**

---

(١) لمزيد الإطلاع على عناية الإسلام بالعلم يُراجع كتاب (مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة) لابن القيم، وكتاب (إحياء علوم الدين) لأبى حامد الغزالى، وكتاب (المجموع شرح المهذب) للإمام النووى، وغير ذلك كثير.

(٢) أخرجه ابن ماجة (٨١/١) المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم/ وقال عنه السيوطى: سئل الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله تعالى عن هذا الحديث، فقال: إنه ضعيف، أى سندًا، وإن كان صحيحًا، أى معنى، وقال تلميذه جمال الدين المزى: هذا الحديث روى من طرق تبلغ رتبة الحسن. وهو كما قال، فإنى رأيت له خمسين طريقًا، وقد جمعتها فى جزء." انتهى كلام الإمام السيوطى. راجع هامش سنن ابن ماجة (٨١/١).



والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة، فأدبها فأحسن تأديبها، وعلَّمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران] (١).

ففى هذا الحديث إشارة إلى استحباب "تعليم الإماء" فالحرائر من باب أولى.

ب ــ وفى بيان فضل العلم وردت أحاديث كثيرة تجل عن الحصر، وحتى لا أخرج عن الموضوع أكتفى بذكر واحد منها.

عن أنس بن مالك ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: **[من خرج فى طلب العلم كان فى سبيل الله حتى يرجع]** (٢).

وفى التعليل لكون طلب العلم لونًا من ألوان الجهاد ــ بل هو فى قمته ــ يقول الإمام ابن القيم: "إنما جُعِلَ طلب العلم من سبيل الله لأن به قوام الإسلام كما أن قوامه بالجهاد، فقوام الدين بالعلم والجهاد، ولهذا كان الجهاد نوعين: جهاد باليد والسنان، وهذا المشارك فيه كثير، والثانى الجهاد بالحجة والبيان، وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل، وهو جهاد الأئمة، وهو أفضل الجهادين لعظم منفعته، وشدة مؤنته، وكثرة أعدائه، قال تعالى فى سورة الفرقان: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾

---

(١) أخرجه البخارى (٢٩/١) كتاب العلم ــ باب تعليم الرجل أمته وأهله.

(٢) أخرجه الترمذى وحسنه (٢٩/٥) كتاب العلم ــ باب فضل طلب العلم.

﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ (١). فهذا جهاد لهم بالقرآن، وهو أكبر الجهادين.." (٢).

ولئن كانت للجهاد فضيلته التى لا تخفى على أحد، فإن الإنسان بواسطة العلم يمكنه أن يستخدم هذا الجهاد استخدامًا صحيحًا، فلا يحمل سلاحه على مسلم، ولا يخلط بين ما هو مشروع وما هو ممنوع، وما هو واجب وما هو مسنون، وعليه فالعلم سياج الجهاد، به يتحَّرى الإنسان الصواب، ويحصلُ عليه من الله الأجر والثواب.

ولأجل هذا جاء القرآن الكريم آمرًا بطلب العلم بوصف النفرة، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (٣). وذلك يجعل العلم والجهاد فى موقع واحد، كما أن سياق الآية ــ وقد سبقها ولحقها حديث عن الخروج لجهاد الأعداء ــ يضع الاهتمام بالإعداد العلمى للمسلمين على قدم المساواة مع الإعداد العسكرى، ولذا قال الصحابى الجليل أبو الدرداء ﷺ عنه:

---

(١) الفرقان: ٥١ــ ٥٢.

(٢) مفتاح دار السعادة (٧٠/١) نشر مكتبة الفاروق الحديثة ــ بدون تاريخ.

(٣) التوبة: ١٢٢.



"من رأى أن الغدو فى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص فى رأيه وعقله" (١).

ونكتفى بما ذكرنا من أحاديث، وإن كان فى كلام النبى ﷺ الكثير والكثير مما يدل على أهمية العلم وفضيلته.

وأما سلف الأمة الصالح فقد أدركوا قيمة العلم وأهميته، ولا أدل على ذلك مما فعلوه فى مصنفاتهم، فقد اعتبروا الحديث عن العلم خير ما تشتمل عليه مقدمات الكتب أو فصولها الأولى، وعلى هذا الترتيب افتتح الإمام الدارمى سننه بمقدمة مطولة عن آداب التعلم والتعليم، وكذلك فعل الإمام أبو حامد الغزالى فى كتابه إحياء علوم الدين والإمام النووى فى كتابه "المجموع"، مع أن موضوعه فى الأصل فى الفقه المقارن.

ولا يخلو كتاب من كتب السنة عن كتاب يحوى أقوال النبى ﷺ المشتملة على مسائل العلم وآدابه.

وقد يعمد المحدث إلى جمع مصنف كامل عن العلم وما يتعلق به، مثلما فعل الإمام أبو عمر يوسف بن عبد البر فى كتابه: "**جامع بيان العلم وفضله** " وفعل ذلك أيضًا غيره.

ولو أريد جمع ما أُلف من كتب ورسائل فى العلم وآدابه ومسائله بأيدى علماء الإسلام لتكونت لدينا مكتبة مستقلة.

---

(١) إحياء علوم الدين (١٦/١) ــ أبو حامد الغزالى ــ طبعة دار الشعب.

إلى جانب ذلك حفلت الكتب بالكثير مما أثر عنهم من أقوال فى تمجيد العلم والإشادة بفضله.

وكما كانت لنا مختارات من القرآن والسنة نختار بعضًا من أقوال السلف الصالح:

أ ــ فمن أقوالهم ما يشير إلى أن إنسانية الإنسان لا تتحقق بغير العلم، وبدونه يصبح الإنسان أشبه ما يكون بالحيوان.

يقول الصحابى الجليل أبو الدرداء ﷺ: "**العالم والمتعلم شريكان فى الخير، وسائر الناس همج لا خير فيهم**" (١).

ويقول الإمام الحسن البصرى ﷺ:"**لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم**" (٢).

وفى هذا المعنى يقول الشاعر محمد إقبال:

إذا خلا المرء من فهم ومعرفة

ظلمت نفسك لو تدعوه إنسانًا.

ب ــ وهم يشيرون إلى حاجة الناس إلى العلم بصورة تفوق حاجتهم إلى سائر مقومات الحياة.

---

(١) نفس المرجع (١٦/١).

(٢) نفس المرجع (٢٠/١).



يقول الإمام أحمد بن حنبل ﷺ: "الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب، لأن الطعام والشراب يحتاج إليه فى اليوم مرة أو مرتين، والعلم يحتاج إليه بعدد الأنفاس"[١].

ج ــ وهم يرون أن السعى فى طلب العلم وتعليمه يفوق ما سواه من أعمال الخير، ومن ذلك نافلة الصلاة.

يقول جعفر بن محمد ﷺ : "رواية الحديث وبثه فى الناس أفضل من عبادة ألف عابد"[٢].

ويقول الإمام الشافعى ﷺ: "ما تُقرب إلى الله تعالى بشىء بعد الفرائض أفضل من طلب العلم"[٣]. وقال أيضًا: "طلب العلم أفضل من صلاة النافلة"[٤].

والأقوال فى هذا المعنى كثيرة عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

ولا أريد الاسترسال فى التدليل على مكانة العلم فى الإسلام، فهى أسطع من الشمس فى ضحاها، وأكتفى بما ذكرت، وأحيل من أراد الاستزادة إلى من توسع من العلماء فى ذلك ممن أشرت إلى بعضهم آنفًا.

---

(١) مفتاح دار السعادة (٦١/١) ابن القيم.

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٣٢/١) ابن عبد البر ــ طبعة ثانية سنة ١٩٨٦م ــ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

(٣) المجموع شرح المهذب (٢٩/١) الإمام النووى بتحقيق محمد نجيب المطيعى ــ بدون تاريخ.

(٤) المرجع السابق.

(٢)

دعوة الإسلام لطلب العلم وتعليمه

ينبثق عن تقدير الإسلام للعلم، وإعلائه من مكانته الحث على الاهتمام به تعلمًا وتعليمًا.

وقد وردت نصوص كثيرة تحث المسلم على أن يستكثر من العلم، ويستزيد منه، فإذا تحصَّل له شيء منه علَّمه لغيره، وأفاد الآخرين.

ونتعرف الآن على بعض هذه النصوص، ونبدأها بما يدعو إلى تعلم العلم.

أ ـ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١).

ففي هذا التوجيه القرآني ـ إضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه ـ الأمر من الله لجماعة المؤمنين أن تتفرَّغ طائفة منهم لتلقي العلم والتخصص فيه، وأن تكون هذه الطائفة بمثابة سفراء عن بقية القوم، يؤدون مهمة تلقِّي العلم عنهم، ثم يعودون إليهم فيصبحون مرجعًا لهم، يعلمون جاهلهم، ويجيبون سائلهم،وعلى الناس جميعهم بأمر الله ـ كذلك ـ

---

(١) التوبة: ١٢٢.



أن تسعى إليهم، وتتلقى العلم عنهم، وذلك فى قوله: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

ب ـــ وسبقت الإشارة إلى بعض الأحاديث التى تحث على طلب العلم، مع بيان ما أُعد لصاحبه من ثواب، وما ورد من أن طلب العلم فريضة على كل مسلم.

ونضيف هنا أن آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ تدلنا على أن تهيئة الفرص التعليمية تتناول جميع الأفراد والطبقات، وتتناول الأصحاء وأصحاب العاهات، لا يُحْرَم من هذا الحق أحد، وتعليمه واجب على أولى الأمر. ففى مطلع سورة عبس يقول الله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ (٢).

---

(١) الأنبياء: ٧.

(٢) عبس: ١ــ١١.

وقصة الآيات معروفة وهى ـ باختصار ـ تتحدث عن صحابى جليل كفيف البصر، وهو عبد الله بن أم مكتوم ﷺ، جاء يطلب العلم من رسول الله ﷺ، وعنده بعض كبار القوم يدعوهم إلى الله طمعًا فى إسلامهم، فلما ألحَّ عبد الله بن أم مكتوم على رسول الله ﷺ أن يعلِّمه مما علَّمه الله عبس فى وجهه، وقطب جبينه، لأنه كان ـ وقتئذ ـ مقبلاً على دعوة هؤلاء الكبار، ويطمع فى إسلامهم، فنزلت الآيات تعاتب رسول الله ﷺ وهى ـ بمفهومها ـ تدل على أن فقر الشخص أو كونه صاحب عاهة لا يحول دون إعطائه حقه كاملاً من التعلم والمعرفة.

وفى الدلالة على أن النساء كالرجال فى هذا الحق بلغ الإسلام مبلغًا عظيمًا حين تجاوز تعليم الحرائر إلى الحث على تعليم الإماء، وقرن أجر تعليمهن بأجر عتقهن، والتزوج بهن، وذلك فى حديث الثلاثة الذين يؤتون أجرهم مرتين، وقد مرَّ بنا فى المبحث السابق، وقد أورده الإمام البخارى فى صحيحه فى كتاب العلم، وترجم له بقوله: " باب تعليم الرجل أمته وأهله"(١) ليشير بهذه الترجمة إلى أن التعليم كما يشمل أمة الرجل يشمل أهله من باب أولى.

وأما ما ورد فى بعض الكتب من النهى عن تعليم النساء الكتابة مرفوعًا إلى النبى ﷺ، ونصه : " لا تسكنوهن الغرف، ولا تعلموهن

(١) صحيح البخارى (٢٩/١).



الكتابة، وعلموهن المغزل وسورة النور" فقد أوضح أهل أن هذا الكلام من الموضوعات التى لا تصح نسبتها إلى المعصوم ﷺ [1].

(ج) وأما أقوال السلف الصالح الدالة على ضرورة طلب العلم والحرص عليه فهى كثيرة، ونختار منها ما يلى : ـ

(١) يقول الصحابى الجليل معاذ بن جبل رضى الله عنه : " تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنيس فى الوحدة، والصاحب فى الخلوة، والدليل على الدين ... " [2].

(٢) ويقول الصحابى الجليل أبو الدرداء رضى الله عنه: " كن عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا، ولا تكن الرابعة فتهلك"[3].

ويقول الإمام الحسن البصرى رضى الله عنه : " العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم طلبًا لا تضروا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا تضروا بالعلم، فإن قومًا طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ، ولو طلبوا العلم لم يدلّهم على ما فعلوا" [4].

---

(١) انظر : (الموضوعات) لأبى الفرج ابن الجوزى (٢٦٩/٢) طبعة أولى ١٩٦٦م نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

(٢) إحياء علوم الدين (٢٠/١).

(٣) نفس المرجع (١٦/١).

(٤)جامع بيان العلم وفضله (١٦٤/١).

ونكتفى بهذا القدر من النصوص حول طلب العلم، وننتقل منها إلى ما يتعلق بتعليم العلم وتبليغه، ونبدأها بما ورد فى كتاب الله تعالى.

(١) يقول الله تعالى :﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [١]. وقد دلَّ صدر هذه الآية على أن تفرغ طائفة لتحصيل العلم، والتخصص فيه فرض كفاية على المسلمين، ثم جاء فى عجزها[٢] أمر لهؤلاء المتعلمين أن يبلغوا ما تعلموه للآخرين.

(٢) يقول الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ ﴾ [٣].

وفى الآية الأولى دليل على تحريم الكتمان للعلم، واستحقاق كاتم العلم للعنة، وأن مقتضى الخروج من اللعنة لا يكون إلا بالتعليم، وهو المعبر عنه بالبيان فى الآية الثانية.

---

(١) التوبة : ١٢٢.

(٢) عجز الشيء : مؤخرته، فعجز الآية أخرها، كما أن صدرها أولها.

(٣) البقرة : ١٥٩– ١٦٠.



ونظير هاتين الآيتين فى وجوب تبليغ العلم وتحريم كتمانه قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَه ﴾(١). فهذه الآية : وإن كانت قد وردت فى شأن أهل الكتاب ــ فإن الله يحذرنا من خلالها أن نتصف بما اتصفوا به من الكتمان فينالنا ما نالهم من الذم.

وأما السنة النبوية ففيها من الأدلة الكثير، والكثير على وجوب تعليم العلم وتحريم كتمانه، ونذكر منها ما يلى:

(١) لقد كان رسول ﷺ قدوة بنفسه فى هذا المجال، حتى عدَّ تعليم العلم إحدى المهمات الأساسية التى لأجلها بعثه الله، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ (٢).

وكان تعليمه ﷺ شاملاً مستوعبًا كل الأشياء النافعة لهم فــى ديــنهم وصلتهم بخالقهم، حتى اعترف بذلك المشركون أنفسهم.

---

(١) آل عمران : ١٨٧

(٢) الجمعة : ٢.

فعن عبد الرحمن بن يزيد رضى الله عنه عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال: قال لنا المشركون : إنى [1]. أرى صاحبكم يعلمكم حتى يعلمكم الخراءة[2]. فقال أجل، إنه نهانا أن يستنجى أحدنا بيمنه، أو يستقبل القبلة، ونهى عن الروث [3]. العظام، وقال : [**لا يستنجى أحدكم بدون ثلاثة أحجار**] [4].

(٢) وكذلك كان ﷺ يعلم أصحابه، ويوفدهم من عنده إلى غيرهم لينوبوا عنه فى تعليمهم العلم، وتفقيههم فى الدين.

فعن مالك بن الحويرث رضى الله عنه قال: " أتيت النبى ﷺ فى نفر من قومى، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رحيمًا رفيقًا، فلما رأى شوقنا

---

(١) هكذا فى رواية مسلم، وجاء فى غير هذه الرواية : قيل له ، وفى بعضها : قال له بعض المشركين وهم يستهزءون به : إنى أرى صاحبكم .. إلخ .

(٢) الخراءة : قال فى النهاية : الخراءة بالكسر والمد التخلى والقعود للحاجة (١٧/٢) مادة : خرا .

(٣) الروث : فسر بأنه براز الحيوان . راجع النهاية (٢٧١/٢) مادة : روث .

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٤/١) كتاب الطهارة ـ باب الاستطابة / وأخرجه أبو داود (١٠/١) . كتاب الطهارة ـ باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة/ وأخرجه الترمذى (٢٤/١) كتاب الطهارة ـ باب الاستنجاء بالحجارة / وأخرجه النسائى (٣٦/١) كتاب الطهارة ـ باب النهى عن الاكتفاء فى الاستطابة بأقل من ثلاثة أحجار/ أخرجه ابن ماجة (١١٥/١) كتاب الطهارة ـ باب الاستنجاء بالحجارة، والنهى عن الروث والرمة.



إلى أهالينا قال : ـ [**ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم وصلوا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم**][1].

وإيفاده ﷺ مصعب بن عمير رضى الله عنه إلى المدينة قبل الهجرة ومعاذاً وأبا موسى إلى اليمن للغرض ذاته من الشهرة بمكان.

(٣) وعلى سبيل الترغيب فى تبليغ العلم والترهيب من كتمانه وردت بعض أحاديث نختار منها ما يلى .

ففى الترغيب فى تبليغ العلم ورد دعاؤه ﷺ لكل مسلم يوظف من نفسه مبلغاً عن رسول الله ﷺ ما يدعو إليه من الخير، وذلك فى قوله : [**نضر الله امرأ سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه**] [2].

وفى الترهيب من كتمان العلم ورد قوله ﷺ : [**من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة**] [3].

---

(١) أخرجه البخارى(١/١١٧) كتاب الأذان – باب من قال ليؤذن فى السفر مؤذن واحد.

(٢) أخرجه أبو داود، واللفظ له (٢/٣١٥) كتاب العلم ـ باب فضل نشر العلم/ وأخرجه الترمذى وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح . (٥/٣٤) كتاب العلم ـ باب ما جاء فى الحث على تبليغ السماع/ وأخرجه ابن ماجه (١/٨٦) المقدمة ـ باب من بلغ علماً / وأخرجه أحمد (٣/٢٢٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٢/٣١٥) كتاب العلم ـ باب كراهية منع العلم/ وأخرجه الترمذى وحسنه (٥/٢٩) كتاب العلم ـ باب ما جاء فى كتمان العلم / وأخرجه ابن ماجه (٣/٩٨) المقدمة ـ باب من سئل عن علم فكتمه / وأخرجه أحمد (٢/٢٦٣).

والحديث – وإن تناول بالذم من يكتم العلم عمن سأله – فإن هروب الشخص صاحب العلم من الميدان حتى لا يجد الناس من يسألونه ويستفيدون منه يجعله كاتمًا للعلم، ومستحقًا للعقاب على تخاذله وتقهقره.

ومن أقوال السلف الصالح في فضل تبليغ العلم، وضرورة القيام به نختار هذه الأقوال:

يسألون يقول الصحابى الجليل أنس بن مالك رضى الله عنه : "بلغنى أن العلماء يسألون يوم القيامة كما تُسأل الأنبياء. يعنى عن تبليغه"(١).

ويقول ابن جماعة الكنانى : "إن تعليم العلم من أهم أمور الدين، وأعلى درجات المؤمنين " (٢).

ونستخلص مما سبق ذكره من آيات وأحاديث وآثار أن الإسلام وجه الأنظار إلى مكانة العلم فيه، وذلك من أول يوم بزغ فيه فجره على الدنيا، ولم يأل النبى ﷺ جهدًا فى التأكيد على هذه الحقيقة بأقواله وأفعاله .

وقد أثمر تشجيع الإسلام للعلم وحثه عليه ثمرته المرجوة، فبرز المسلمون فى شتى العلوم، وتفوقوا فى جميع المجالات، ولمعت أسماء العلماء فى فروع المعرفة كافة من فقه ولغة، وتفسير وطب وفلك ورياضيات وغير ذلك، مما كان له أكبر الأثر فى التمكين لحضارات الشعوب التى تلت ظهور الإسلام، بما فيها شعوب أوروبا فى نهضتها المعاصرة، وذلك باعتراف الأوروبيين أنفسهم.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١٤٩/١) – ابن عبد البر.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم (ص١٤٧) ابن جماعة الكنانى – طبع دار الكتب.



يقول مارتن **بلسنر**: ــ " لا يكاد يوجد شيء من جهود المسلمين فى ميدان العلوم لم يتأثر به الغرب بطريق أو بآخر" [1].

ويقول الأستاذ **سيديو** : " إنه تكونت فيما بين القرن التاسع والقرن الخامس عشر مجموعة من أكبر المعارف فى التاريخ، وظهرت منتوجات ومصنوعات متعددة، واختراعات ثمينة تشهد بالنشاط الذهنى المدهش فى هذا العصر، وجميع ذلك تأثرت به أوروبا، بحيث يؤكد القول بأن العرب كانوا أساتذتها فى جميع فروع المعرفة "[2].

ويقول **ول ديورانت** فى كتابه (قصة الحضارة) [3] : " وجملة القول إن ابن سينا أعظم من كتب فى الطب فى العصور الوسطى، وأن الرازى أعظم أطبائها، والبيرونى أعظم الجغرافيين فيها، وابن الهيثم أعظم علمائها فى البصريات، وجابر بن حيان أعظم **الكيميائيين** فيها.. ولما أن أعلن **روجر** بيكن هذا الطريقة إلى أوروبا[4] يعنى- المنهج التجريبى- بعد أن أعلنها جابر يعنى ابن حيان بخمسمائة عام كان الذى هداه إليها هو النور

---

(١) قالوا عن الإسلام (ص ٣٤٤) د/ عماد الدين خليل ــ طبعة أولى سنة ١٩٩٢م ــ الندوة العالمية للشباب الإسلامى ــ الرياض.

(٢) حضارة الإسلام وأثرها فى الترقى العالمى (ص ١٩) ــ جلال مظهر ــ نشر مكتبة الخانجى ــ القاهرة ــ بدون تاريخ.

(٣) المرجع المذكور (ج ١٣ــ ص ١٩٦) ترجمة محمد بدران ــ طبعة جامعة الدول العربية ــ بدون تاريخ .

(٤) ولما أن أعلن روجر بيكن هذه الطريقة إلى أوروبا : ــ هكذا بالأصل، والصواب (فى أوروبا) .

الذى أضاء له السبيل من عرب الأندلس، وليس هذا الضياء نفسه إلا قبسًا من نور المسلمين فى المشرق".

وثمة أقوال أخرى واستعراض تفصيلى لإسهامات المسلمين فى مجال الحضارة العالمية لا يتسع المجال للتفصيل فيها. فأكتفى بما أشــرت إليــه آنفًا، وأحيل من أراد الاستزادة إلى الكتب التى توفرت على هذه الأقــوال والإسهامات [١].

---

(١) راجع على سبيل المثال ــ كتاب (حضارة الإسلام وأثرها فى الترقى العالمى) جلال مظهر . وكتاب (قصة الحضارة) ول ديورانت، وكتاب (تاريخ التراث العربى) فــؤاد سزكين. وكتاب (قالوا عن الإسلام) للدكتور / عماد الدين خليل. وكتاب (أثر العرب فى الحضارة الأوروبية) عباس محمود العقاد، وغير ذلك كثير.



(٣)
غاية العلم فى الإسلام

لم يدع الإسلام بابًا من أبواب العلم إلا وطرقه، وورد فى كتاب الله تعـالى وسنة رسوله ﷺ ما يبارك ويشجع على معارف وعلوم ربما ظـن الـبعض أن الإسلام لا علاقة له بها.

وأضرب هنا بعض الأمثلة المستقاة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ للتدليل على ما أقول.

(أ) ففى بيان أهمية معرفة المسلم للقراءة والكتابة ثبت فى السيرة النبوية أن النبى ﷺ كان يطلب من الأسير من أسرى بدر إذا لم يجد فدية أن يعلم عددًا من أبناء المسلمين الكتابة فى مقابل إطلاق سراحه[١].

وجاء فى القرآن الكريم ما يفيد أن معرفة القراءة والكتابة منحة من الله يهبها لعباده يرجع الفضل فى معرفتها إلى الله، وذلك فى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾[٢].

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (١/٢٤٧) .

(٢) البقرة : ٢٨٢.

وكانت أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضى الله عنهما تأتيها فى بيت رسول الله ﷺ الشفاء بنت عبد الله لتعلمها الكتابة، وكان رسول الله ﷺ يشجعها على ذلك، ويطلب منها أن تعلمها أشياء أخرى.

فعن الشفاء بنت عبد الله رضى الله عنها قالت : دخل علّى رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة، فقال لى : [**ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة ؟**] [1].

ومن مجموع هذه النصوص يتضح لنا أن الإسلام يشجع أبناءه على معرفة القراءة والكتابة، باعتبارها مفتاحًا يلج به الإنسان باب العلم، ويتوسع فى الاغتراف من معينه.

(ب) وفى الدلالة على أهمية الإلمام بلغات أخرى غير العربية وجه النبى ﷺ صحابيًا جليلاً هو زيد بن ثابت ليتعلم لغة اليهود الذين كانوا يجاورونه فى المدينة، فتعلمها ــ رضى الله عنه ــ فى أقل من نصف شهر.

أخرج البخارى فى صحيحه عن زيد بن ثابت رضى الله عنه أن النبى ﷺ أمره أن يتعلم كتاب اليهود قال : حتى كتبت للنبى ﷺ كتبه[2] ، وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه [3].

---

(١) أخرجه أبو داود(١/ ٣٦٨) كتاب الطب ــ باب ما جاء فى الرقى / وأخرجه أحمد (٣٧٢/٦) .

(٢) هنا كلام محذوف يدل عليه السياق، أى أمرنى أن أتعلم كتاب اليهود، فتعلمته حتى كتبت للنبى .. إلخ .

(٣) صحيح البخارى (٢٤٤/٤) كتاب الأحكام ــ باب ترجمة الحكام، وهل يجوز ترجمان واحد.



وفى رواية أبى داود قال: " أمرنى رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب يهود، وقال : [**إنى والله ما آمن يهود على كتابى**] فتعلمته، فلم يمر بى إلا نصف شهر حتى حذقته (أى أتقنته وتعلمته) فكنت أكتب له إذا كتب، وأقرأ له إذا كتب إليه "(١).

وورد كذلك توجيه النبى ﷺ ليتعلم السريانية فتعلمها فى سبعة عشر يومًا، ففى مسند أحمد عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ : [**تحسن السريانية؟ إنها تأتينى كتب**] . قال : قلت لا، قال: فتعلمها، قال: فتعلمتها فى سبعة عشر يومًا(٢).

(ج) ولما كانت العلوم الكونية دليلاً على قدرة الخالق ووحدانيته، والإلمام بها وسيلة للنهوض فى مجالات الحياة الأخرى كالزراعة والصناعة وغيرهما، لأجل هذا رأينا القرآن الكريم ينوّه بالعلماء فيها، **ويلفت النظر إلى علو قدرهم، وسمو مكانتهم، وذلك فى موضعين من كتاب الله تعالى.**

(١) سنن أبى داود (٣١١/٢) كتاب العلم ــ باب رواية حديث أهل الكتاب.
(٢) مسند أحمد (١٨٢/٥).

الأول: قول الحق تبارك وتعالى :﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ (١).

والثانى قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (٢).

ففى قوله تعالى فى الموضع الأول :﴿ **إن فى ذلك لآيات للعالمين** ﴾ وفى قوله فى **الموضع الثانى** : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ وذلك فى ثنايا الحديث عن آيات كونية، ما ينوه بشأن العلماء فى هذه المجالات، ويحض المسلمين ـــ من جانب آخر ـــ على أن يقتحموا هذه المجالات، وألا تقتصر جهودهم على معرفة الفقه والحديث والأصول دون غيرها.

---

(١) الروم : ٢٢.

(٢) فاطر : ٢٧-٢٨.



لقد اعتبر الإسلام إلمام المسلمين بهذه العلوم من فروض الكفايات، لما يترتب عليها من تنامى قوتهم المادية، وتلبية حاجاتهم المعيشية، ولأن الإسلام دين يوازن بين الروح والمادة، وبين الدنيا والآخرة لم يشعر المسلمون بأى تناقض بين التفوق فى العلوم الكونية للمساهمة فى قوة المسلمين وبين تطلعاتهم الروحية، وذلك لأن جهودهم المادية تتحول إلى عبادة عندما يكون الهدف منها العمل على إعلاء كلمة الله، ونشر التوحيد فى أرجاء الأرض.

ونستخلص من هذه الأمثلة أن الإسلام فتح المجال أمـــام المـــسلمين ليشقوا طريقهم نحو تعلم العلوم بمختلف أشكالها، طالما كانت علومًا نافعة.

لكن الإسلام ـــ الذى أعلا من شأن العلم على النحو الذى سبق بيانه ـــ لم ينظر إليه على أنه مجرد تحصيل المعارف، وحشو الأذهان بها دون نظر إلى ما يترتب عليها من نتائج وآثار، بل يرى ـــ ليكون هذا العلم نافعًا ـــ ضرورة أن يتحرك فى الإطار الذى يعين الناس على معرفتهم بخالقهم، ويوثق صلتهم به، باعتبار أن الغاية التى لأجلها خلقوا هـــــى عبادة الله تعالى، كما قال ربنا : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [1].

(١) الذاريات : ٥٦.

وهذه الغاية يتبناها العلم بشتى أنواعه وفروعه، سواء كانت علومًا شرعية أو لغوية، أو كونية أو رياضية، أو غير ذلك من أنواع العلوم.

وفى القرآن الكريم إشارات عدة إلى ضرورة أن يتبنى العلم هذا المنهج، ونختار من هذه الإشارات ما يلى :

(أ) يقول الله تعالى:﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ (١).

والشاهد أنه سبحانه وتعالى لم يقل (اقرأ) وفقط فليس المراد مجرد القراءة، كما أن القراءة ينبغى أن تكون باسم الله، وليست باسم حاكم أو عظيم، وليست باسم وطن أو جنسية أو طبقة، بل هى باسم الله الذى خلق.

وفى ذلك إشارة إلى أن العلم ينبغى أن يعتمد ما يرضى الله، ويقرب منه، لأنه سبحانه صاحب الفضل فى الخلق، ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ (٢) وهو ـ أيضًا ـ صاحب الفضل فى العلم : ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (٣).

---

(١) العلق : ١.

(٢) العلق : ٢.

(٣) العلق : ٥.



(ب) قول الله تعـالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (١).

والشاهد أن الله سبحانه وتعالى بين لنا أن وظيفة الرسول المصطفى ﷺ لم تقتصر على التعليم المجرد، وإنما جمعت بينه وبين التزكية للنفوس، وتطهير القلوب. ونحن مأمورون ــ بنص القرآن الكريم ــ أن نقتفى أثر النبى المصطفى ﷺ كل منا فى مكانه، مصداقاً لقول الحق جل عز : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢).

(ج) مدح الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم صنفاً من العلماء، وذم منهم صنفاً آخر، وكان ذلك تبعًا لانتفاعهم بالعلم فى صلتهم بخالقهم من عدمه.

فمن قبيل الأول قول الله تعالى:﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ﴾ (٣).

---

(١) آل عمران : ١٦٤.

(٢) الأحزاب : ٢١.

(٣) المجادلة : ١١.

والشاهد أن الله تعالى مدحهم ورفع درجاتهم حين جمعوا بين الإيمان والعلم.

ومن هذا القبيل أيضًا قوله تعالى :﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١).

والشاهد أن الله أثنى على أهل العلم الذين يوقنون بصدق ما جاءهم عن الله من وحى، وتخشع له قلوبهم، وتلين له جلودهم، واستعملت (الفاء) الدالة على الترتيب والتعقيب علامة على التلازم بين هذه الأشياء دون فاصل زمنى .

ومن قبيل الثانى قــول الله تعــالى:﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾(٢).

ومنه أيضًا قول الله تعالى:﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ (٣).

---

(١) الحج : ٥٤

(٢) النجم : ٢٩- ٣٠.

(٣) الروم : ٧.

والشاهد فى الآيتين أن الله تعالى ذم الكافرين رغم علمهم، لأنه لم يدلهم على الله، ولم يوثق صلتهم بخالقهم.

وفى العالم الذى نعيش فيه أدلة كثيرة تؤيد هذه الحقيقة، فكم من علماء علا بين الناس ذكرهم، فتتوا الذرة، وملأوا المعامل بالتجارب، ورأوا أدق الأشياء فى الآفاق والأعماق، ثم خرجوا من هذا كله بالكفر والإلحاد، ولذا عاد علمهم على الدنيا بالخراب والدمار، ووقع الناس منهم فى كرب وبلاء، والسبب فى ذلك أن علمهم كان مبتوت الصلة بالإيمان بالله، ووقفوا به عند ظواهر الأشياء.

وفى ضوء ما تقدم ذكره يتضح لنا أن غاية العلم فى الإسلام ــ أيًا كان نوع هذا العلم ــ هى تعريف الناس بالله، وتوثيق صلتهم به، وإلا كان علمًا غير نافع، وحجة على صاحبه يوم القيامة.

وهذا الأمر كان سائدًا خلال عصور الإسلام الزاهرة، فأنتج لنا علماء فى شتى المجالات، جمعوا بين صلاح الدين والتفوق فى العلم، ولم تدفعهم علومهم إلا إلى مزيد الصلة بالله، وكانوا دعاة إلى إبراز عظمة هذا الدين بعلومهم ومعارفهم، فكنت ترى عالمًا بارعًا كالفخر الرازى يفسر القرآن، ويبرع فى الطب، ويبدع فى الكيمياء والرياضيات، وابن سينا كان طبيبًا وفيلسوفًا وله باع طويل فى العلوم العربية، وتكررت هذه النماذج حتى طبعت تاريخ المسلمين بطابع التفوق فى علوم الدنيا مع المحافظة على عقيدة الأمة، والسمو بها إلى أعلى المراتب.

يقول الدكتور أحمد نسيم سوسة: " تمتاز الحضارة الإسلامية في كونها تخضع في معظم إنتاجها إلى التعاليم الإسلامية، فالقيام بالصناعات والأخذ بالعلوم متصل بروح الأمة وعقيدتها، لأن العمل بذلك في نظر الإسلام فرض على الأمة، وهذا نظام يربط الإنتاج البشرى بالدين" (١).

وفى كون الغاية من العلم تعريف الناس بخالقهم، وتوثيق صلتهم به، والعمل على ذلك بكل الوسائل يتيح لنا تحقيق جملة من الفوائد نلخصها فيما يلى:

(أ) تهيئة الأجواء المناسبة لتطبيق تعاليم الإسلام على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، وإزاحة التناقض بين ما يعتقده المسلم وما يتعلمه، بحيث ينمو الدارس على فطرة الإسلام، والتأدب بآدابه، وإدراك تصورات الإسلام للحياة، وحلوله لمشكلاتها.

ومن الملاحظ فى هذا المجال أن تفاعل الطلاب مع أساتذة العلوم التطبيقية والإنسانية وسائر العلوم ــ عند ربطها بالإسلام وتوجيهاته ــ يكون هذا التفاعل أكبر، والتأثر به أكثر، مما لو اقتصر على زاوية ضيقة تعطى للتربية الإسلامية.

(ب) تسخير العلم لخدمة الإنسانية، والبعد به عن الزيغ والانحراف (٢).

---

(١) قالوا عن الإسلام (ص ٣٧١) د/ عماد الدين خليل.

(٢) حين يلتزم العلم بأخلاق الإسلام، سنجد العلم يمدنا بما نحتاج إليه فى كافة التخصصات، والخلق الإسلامى يحسن توجيهها، فعلى سبيل المثال سيخرج لنا العلم الطبيب الماهر، ولكن الإسلام يعلمه الرحمة بالمرضى والشفقة عليهم، ويخرج لنا العلم الرجل المتخصص فى علوم الذرة، ولكن فى إطار تعاليم الإسلام يخضعها لخدمة الإنسانية ، وليس فى القضاء عليها، ويوجد لنا العلم رجل الاقتصاد الفاهم، ولكن الإسلام يربيه على الأمانة ونظافة اليد، ويحول فيما بينه وبين التعدى على أموال الغير .. وهكذا.



(ج) إقامة وحدة فكرية بين أبناء العالم الإسلامى، تسهم فى توحيد صفوف المسلمين، وتعمل على جمع شتاتهم.

(د) الاعتماد على مصدر متكامل للمعرفة، يوازن بين الجسد والروح، والدنيا والآخرة، لأنه وحى من الله يتمثل فى كتاب الله، وهو كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفى هدى النبى ﷺ، وهو لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى.

(هـ) قطع الطريق على أعداء الإسلام الذين عقدوا العزم وبيتوا النية على إفساد المسلمين بإفساد منابع التعليم التى يستقون منها، كما سنرى ذلك واضحًا فى كلماتهم وتصريحاتهم.

(و) تحول العملية التعليمية من مجرد وظيفة إلى أداة لاكتساب الثواب، وتحقيق مرضاة الله فى الدنيا والآخرة. ولسنا نعنى بهذا الكلام أن تتحول العملية التعليمية إلى عملية وعظية خالية من الأسلوب العلمى المقنن، والاستفادة بما وضعه علماء التربية من مبادئ لإنجاح العملية التعليمية، فهذا أمر لا غبار عليه فى إطار مبادئ الإسلام وتعاليمه.

وقد يقول قائل: إلا يكفى أن يتم تدريس الدين من خلال مقرر دراسى يتم من خلاله تعريف الطالب بواجبه نحو خالقه، وإعطاء لمحات عن الأخلاق والسيرة وسائر الفروع الإسلامية، كما هو حادث الآن فى معظم البلاد الإسلامية، دون حاجة إلى تطويع سائر المواد لتصب فى إطار إسلامى يعين الطالب على معرفة خالقه، كما يطالب هذا البحث وأمثاله بذلك؟

ويجاب عن هذا بعدة أشياء نلخصها فيما يلى:

(أ) إن دين الإسلام يختلف فى مفهومه عن الأديان الأخرى، فلئن كانت هذه الأديان تفصل بين الدين والحياة، فإن الإسلام كلّ متكامل، ليس فيه شىء لله وشىء لغيره، بل كل شىء لله، والمسلم يعلن هذه الحقيقة فى كل يوم، فيقول فى مفتتح صلواته ــ كما هى السنة ــ : " إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا أول المسلمين"[1].

(ب) إن الاقتصار على تدريس الدين كمادة مثل سائر المواد دون أن تمتد ظلالها إلى سائر المواد يخرجها عن إطار كونها تربية إلى مجرد ثقافة، تؤهل الطالب للنجاح فى الامتحان، دون أن يكون لها أثر واقعى فى حياته، بل تؤدى فى الواقع إلى زيادة نفوره من الدين.

(ج) إن عدم التدخل فى كل المواد لتطويعها بما يخدم قضية العقيدة، والإبقاء على ما فيها من خرافات تتعارض مع الإسلام، يضعف- إن لم ينف- أى أثر يمكن أن تحدثه دروس التربية الإسلامية فى نفوس الدارسين.

وعليه فلا مناص لمن أراد أن يبنى جيلاً مؤمناً بالله، متحمسًا لدينه من صبغ كل المواد بصبغة الإسلام، مع العناية ــ فى الوقت ذاته ــ بدروس التربية الإسلامية، والعمل على الارتقاء بها وبأساتذتها على النحو الذى سنفصله فى المباحث التالية بإذن الله تعالى.

---

(١) الحديث بتمامه أخرجه مسلم (١/٥٣٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها ــ باب الدعاء فى صلاة الليل وقيامه.

الفصل الثانى

الوسائط التعليمية وأهميتها فى نظر الإسلام

وتشتمل على ثلاثة مباحث

١. المعلم
٢. المنهج
٣. المؤسسة التعليمية

الواسطة الأولى : المعلم

مكانة المعلم فى العملية التعليمية:

لابد للعملية التعليمية من مجموعة من الآليات والوسائط تتحقق من خلالها وتتفاوت فى أهميتها ومكانتها فى العملية التعليمية، ويأتى فى مقدمتها ــ بإجماع خبراء التربية ــ المعلم، فهو العمود الفقرى للعملية التعليمية، وهو الذى ينفخ بها الروح ويجرى فى عروقها دم الحياة.

ويرجع السبب فى ذلك إلى مجموعة من الأسباب نلخصها فيما يلى:

١ــ أن المعلم هو النموذج الحى المتحرك فى مقابل الوسائل الأخرى الصامتة.

٢ــ أن المعلم يتغلغل فى جميع الأوساط التعليمية، بدءًا من الحضانة، وانتهاء بالجامعة، والتى تعد الوسائل الأخرى فى بعضها ثانوية.

٣ــ أن المعلم عامل أساسى فى العملية التعليمية لا يمكن الاستغناء عنه بحال، وبوجوده يمكن للعملية التعليمية أن تتم، وفى غيابه لا يمكن صنع شىء.

٤ــ أن الوسائل التعليمية الأخرى أداة طيعة فى يد المعلم، يمكنه ــ بكفاءته ــ أن يجعلها سهلة محببة إلى نفوس الدارسين، فى حين أنها تهبط إلى الحضيض، وتهدم ولا تبنى إذا لم يكن المدرس على المستوى اللائق. ويمكن لأى شخص أن يلاحظ ذلك من خلال النظر إلى تعامل الدارسين مع أستاذ يحبونه، فإنه يرى انعكاس ذلك على ترقبهم لمحاضراته ، وحبهم لمادته ، وتفوقهم فيها ، والعكس بالعكس



ولأهمية المعلم ومكانته فى العملية التعليمية رأينا كثيرًا من المدارس تنتسب إلى أساتذتها، فيقال: مدرسة الإمام أبى حنيفة، ومدرسة الإمام الشافعى ... إلخ .

ولأهميته كذلك رأينا دولا تنسب نجاحها أو فشلها لنجاح أو فشل العملية التعليمية بصفة عامة، والمعلم بصفة خاصة.

" فحين انتصرت ألمانيا فى الحرب السبعينية قال أحد الألمان: لقد انتصر معلم المدرسة الألمانية.

وعلى الوجه المقابل لهذه الصورة حين انهزمت فرنسا فى الحرب العالمية الثانية قال أحد الفرنسيين : إن التربية الفرنسية متخلفة " (١) .

نظرة الإسلام إلى المعلم :

انطلاقًا مما يحمله المعلم من مسئولية فى الجانب التعليمى ــ على النحو الذى أشرنا إليه ــ رأينا الإسلام يعلى من قيمته، ويرفع من شأنه، حيث جعله وريثًا للأنبياء فى أداء وظيفتهم، وحمله لرسالتهم، ففى الحديث: **[وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا .. إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر]** (٢) .

---

(١) التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة (ص٩١٢) د/ إسحاق أحمد فرحان ــ طبعة ثانية سنة ١٩٨٣م دار الفرقان ــ الأردن .

(٢) أخرجه أبو داود (٣١٠/٢) كتاب العلم ــ باب الحث على طلب العلم، أخرجه الترمذى (٤٩/٥) كتاب العلم ــ باب ما جاء فى فضل الفقه على العبادة، وأخرجه ابن ماجة (٨١/١) المقدمة ــ باب فضل العلماء، والحث على طلب العلم.

وقد لفت الأنظار إلى هذا المعنى أمير الشعراء أحمد شوقى، فقال:

قم للمعلم وفـــه التبجـــيلا   كاد المعلم أن يكون رسولا

أعلمت أشرف أو أجلَّ من الذى   يبنى وينشىء أنفسًا وعقولا؟[1] .

فما هو السبب الذى لأجله يُعْلى الإسلام من قيمة المعلمين، ويتغنى الشعراء بمكانتهم، ويحملون الناس على وجوب إظهار التوقير والاحترام لهم؟

إن المعروف فى ديننا الإسلامى أن بين العمل وبين الثواب تناســبًا طرديًا، بمعنى أن العمل كلما كان عظيمًا، والأثر المترتب عليه عظيم كان الثواب على قدره عظيمًا، فما هو السبب فى تكريم الإسلام للمعلم؟

إن الإسلام يعتبر المعلم واقفًا على ثغرة من ثغور الإسلام، وأن الأمة قد دفعت إليه بفلذات أكبادها ليثقف عقولها، ويزكى نفوسها، ويُعْــدَّ مــنهم رجالاً تعتمد عليهم الأمة فى حاضرها ومستقبلها.

وعلى هذا فالعمل فى مجال التعليم ليس حرفة يتكسب منها الإنــسان ما يكفيه أو يغنيه دون نظر إلى شىء آخر، ولكنه رسالة يحملهـــا المعلــم على عاتقه، فإن وفى بما عاقد عليه، واتقى الله فى أبناء المسلمين، فنفع ولم يضر، وهدى ولم يُضلَّ ، كان حريًا أن ينال الأجر والمثوبة من الله الـــذى

---

(١) مما يؤسف له أن مكانة المعلم قد ضعفت أو تلاشت فى الفترات الأخيرة؛ وصار التقدير المادى والأدبى والمكانة الاجتماعية لأرباب التعليم دون المستوى اللائق، وعمدت بعض المسلسلات إلـــى الإقلال والحط من قيمة المدرس، وكان لذلك أثره فى قلة المقبلين من الخـــريجين علـــى التـــدريس إلا إذا أغلقت أمامهم الأبواب الأخرى، وأدى ذلك ــ بالتالى ــ إلى ضعف المـــستوى العلمـــى، وتدنى المستوى الخلقى.



وعد، ووعده لا يتخلف ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾[1] .

وإن أهمل تربية الدارسين، ولم يكترث إلا بما يعود عليه من نفع ذاتي، فإن الله تعالى سائله ومحاسبه، وصدق رسول الله ﷺ القائل: [**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ....**] [2] .

ولكي يتحول التعليم في حسِّ المدرس من كونه حرفة يتكسب منها إلى كونه رسالة ينال عليها المثوبة والأجر من الله تعالى، فإن ذلك يستلزم تَوَفُّر عدد من المقومات، منها ما يتعلق بشخص المعلم، ومنها ما يكون بينه وبين طلابه.

وهذا ما سنحاول إلقاء الضوء عليه في الصفحات التالية إن شاء الله.

(أ) مقومات المعلم المسلم في شخصه:

يمكن إجمال مقومات المعلم المسلم، الذي يتخذ التعليم رسالة لا حرفة في النقاط التالية:

١ــ إخلاص النية .

٢ــ الربط بين القول والفعل (القدوة الحسنة) .

٣ــ التعمق في المعرفة .

---

(١) الأعراف: ١٧٠.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٥٩) كتاب الجمعة ــ باب الجمعة في القرى والمدن/ وأخرجه مسلم (٣/ ١٤٥٩) كتاب الإمارة ــ باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم .

٤ــ نظافة المظهر والصورة.

ونعود بعد هذا الإجمال إلى التفصيل فى كل نقطة منها على حدة.

(١) إخلاص النية:

تفيد تعاليم الإسلام أن أى عمل يتحدد كونه طاعة أم لا على أساس النية التى ينبنى عليها، يستوى فى ذلك أن يكون صلاة أو صيامًا، أو وظيفة، أو حتى تمتعًا بطيبات الرزق، وتحقيقًا لمطالب النفس.

يقول النبى ﷺ : [**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل أمرىء ما نوى..**] (١) .

وشأن القيام بوظيفة التعليم كشأن بقية الأمور فى هذا المجال.

يقول الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه: " أن طلب العلم لحسن، وإن نشره لحسن إذا صحَّت فيه النية" (٢) .

وعليه فلا غنى للمعلم المسلم صاحب الرسالة عن تصحيح النية، وسلامة القصد، وتطويع العمل التعليمى لخدمة قضايا الإسلام، والارتقاء بالمسلمين.

---

(١) أخرجه البخارى (٦/١) كتاب بدء الوحى ــ باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ، وأخرجه فى مواضع أخرى من كتابه/ وأخرجه مسلم (١٥١٥/٣) كتاب الإمارة ــ باب قوله ﷺ [**إنما الأعمال بالنية**]، وأنه يدخل فى الغزو وغيره/ وكذا أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجة.

(٢) إحياء علوم الدين (١٠٩/١) أبو حامد الغزالى .



يقول صاحب كتاب " مفتاح السعادة ": " ينبغى أن يكون تعليمه (أى المعلم) لوجه الله تعالى، ولا يريد بذلك رياء ولا سمعه، ولا رسمًا ولا عادة، ولا زيادة جاه ولا حرمة، وإنما يريد ابتغاء مرضات الله تعالى، والامتثال لأوامره، والاجتناب عن نواهيه، ويريد نشر العلم، وتكثير الفقهاء، وتقليل الجهلة، وإرشاد عباد الله إلى الحق، ودلالتهم على ما يصلحهم فى النشأتين، وإظهار دين الله، وإقامة سنة رسول الله ﷺ، وتشييد قواعد الإسلام، والتفريق بين الحلال والحرام، ويكون مخلصًا فى ذلك، راغبًا فى الآخرة، وموفقًا بما أعد الله للعلماء العاملين، راجيًا ثوابه، وخائفًا عقابه"(١) .

وفى القرآن الكريم ما يشير إلى مثل هذا، وذلك فى قوله تعالى:﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (٢) .

---

(١) المرجع المذكور (٣٥/١) طاش كبرى زادة ــ نشر دار الكتب الحديثة ــ القاهرة ــ بدون تاريخ .

(٢) آل عمران: ٧٩-٨٠.

ففى هاتين الآيتين الكريمتين ما يشير إلى ضرورة تبنى " **الربانية** " فيمن يتصدون لتعليم الغير، والتخلى عن الأسباب والمظاهر التى تحول دون تحقيق هذه الغاية.

وبتحلِّى المعلم بإخلاص النية فى علمه، وتجرده لتحقيق مرضات الله تعالى يتفانى ــ أى المعلم ــ فى أداء عمله، ويجتهد فى تجويده وإحسانه، ويبادر إلى مباشرة علمه بجد واجتهاد، وسعادة وشوق، وذلك كله دون نظر إلى رقابة عميد أو مفتش أو ناظر، فإن الرقابة الخارجية ــ مهما تنوعت أساليبها ــ تفشل فى تحقيق النجاح المرجو، ما لم تكن لدى المعلم رقابة ذاتية، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالإخلاص.

(٢) الربط بين القول والفعل (القدوة الحسنة).

سبقت الإشارة إلى مكانة المعلم فى العملية التعليمية، وأن نجاحها أو فشلها يتوقف على مدى توفيق المدرس فى أدائه لعمله.

ونضيف هنا أن تحقيق النجاح فى العمل التعليمى لا يتأتى بالألفاظ الجذلة، والعبارات الرصينة، فذلك أمر يعتاده الإنسان بكثرة المران، ويستوى فيه الصادقون والكذابون على السواء، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾[١] .

(١) البقرة: ٢٠٤.



وعلى ذلك فإن المعلم الناجح هو من يقدِّم لطلابه نموذجًا صالحًا من نفسه، وأسوة طيبة بين يدى تلامذته ولهذا قالوا: " **المعلم يثقف العقول بعلمه، ويربيهم بخلقه** "[1] .

وفى اهتمام المعلم بعنصر القدوة فى مجال التعليم يمكن تحقيق جملة من الأهداف، نلخصها فيما يلى:

١ــ تحقيق التربية على كافة المستويات، وذلك لأن المخاطبين يتفاوتون فى درجات الفهم، ولكن الجميع يتساوون أمام الرؤية بالعين لعمل تربوى يلتزم به معلمهم.

يقول أبو حامد الغزالى رحمه الله: " **العلم يُدَرَكُ بالبصائر، والعمل يدرك بالأبصار، وأرباب الأبصار أكثر**"[2] .

٢ــ أن القدوة الحسنة فى المعلم هى السبيل الأمثل لإقناع المتعلم واستجابته، وهى فى هذا الجانب أعمق تأثيرًا فى النفس البشرية، والاستجابة لها أسرع من أى كلام نظرى، وقد قيل فى هذا المعنى: " **مقام رجل فى ألف رجل، خير من كلام ألف رجل فى رجل** ".

ومن الأدلة العملية على صدق ذلك وصحته ما ثبت أن النبى ﷺ دعا الناس يوم الحديبية إلى الحلق ونحْر الهدى والتحلل، فلم يلتفت منهم أحد إلى هذا الأمر رغم تكرير النبى ﷺ له ثلاث مرات، فلما قصَّ ما حدث من الناس لأم سلمة أم المؤمنين ــ رضى الله عنهاــ أشارت عليه بأن يخرج،

(١) هذه العبارة يقولها أهل الصين كمثل شعبى .

(٢) إحياء علوم الدين (٩٧/١) .

ولا يكلم أحدًا حتى ينحر بُدْنَهُ ويحلق رأسه ليقتدى الناس به عمليًا، وكان كما أشارت رضى الله عنها[1] .

٣ــ أن نفوس المتعلمين مفطورة على تقليد أساتذتهم والتشبه بهم، فإذا التزم المعلم بالقدوة الحسنة فى نفسه أفاد وأجاد.

يقول عتبة بن أبى سفيان لعبد الصمد مؤدب أولاده: " **ليكن أول ما تبدأ له من إصلاح بنىَّ إصلاحك نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت**"[2] .

ونستخلص مما سبق أن القدوة الحسنة لها من المكانة والأهمية فى مجال التعليم دور بارز، بحيث يمكن القول بأن نجاح العملية التعليمية يتوقف ــ إلى حدًّ كبير ــ على وجودها، وهذا المعنى هو ما أشار إليه الأئمة، وحكماء الأمة.

يقول الإمام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه: " **من نصب نفسه للناس إمامًا فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم**"[3] .

---

(١) الحديث بطوله فى صلح الحديبية أخرجه الإمام البخارى (١١٩/٢) ومابعدها. كتاب الشروط ــ باب الشروط فى الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط .

(٢) البيان والتبيين (٧٣/٢) الجاحظ ــ طبعة خامسة سنة ١٩٨٥ ــ مكتبة الخانجى ــ القاهرة ــ بتحقيق عبد السلام محمد هارون .

(٣) نهج البلاغة (ص ٦٧٢) الجزء الرابع ــ طبعة أولى سنة ١٩٨٥م ــ دار البلاغة ــ بيروت ــ شرح الإمام الشيخ محمد عبده .



ويقول الفرَّاء: " **أدب النفس ثم أدب الدرس**" [1] .

ويقول الإمام أبو حامد الغزالي :" **مثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين، والظل من العود، فكيف ينقش الطين بما لا نقش فيه؟ ومتى استوى الظل والعود أعوج؟** "[2] .

والأقوال فى هذا المعنى كثيرة، وأكتفى منها بما ذكرت طلبًا للاختصار.

(٣) التعمق فى المعرفة:

من الأسباب الهامة التى تجذب الطلاب نحو معلمهم، وتعلق قلوبهم به وبدروسه أن يكون عنده إلمام واسع بمادته، وقدرة على إجادة عرضها بما يشوق الطلاب، وينفى عنهم السأم والملل .

والواقع المشاهد يؤيد ذلك، فما من أستاذ يخيط بمادته التى يُدرِّسها بصورة موسعة إيصال المعلومات بصورة محببة، إلا أقبل عليه الطلاب، وتزاحموا عليه للإفادة منه، بعكس ما لو كان سطحيًا، قليل المعرفة.

وينبغى إلا يقتصر المعلم ــ فى هذا المجال ــ على العمق فيما تخصص فيه ــ وإن كانت لذلك الأولوية ــ بل يعتنى بتنمية معلوماته العامة فى غير مجال التخصص،فإن ذلك من شأنه أن يكسبه ثقة طلابه، ويمنحه حبهم، والقدرة على التأثير فيهم ومما يجود عمله فى هذا المجال أيضًا أن يكون على إلمام بطرق التدريس، ليختار لكل مرحلة ولكل مادة

---

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع (٣٠٣/١) الحافظ الخطيب البغدادى ــ طبعة سنة ١٩٨٣م ــ مكتبة المعارف ــ الرياض بتحقيق الدكتور محمود الطحان.

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٩٨).

الطريقة المناسبة لها، مثله فى ذلك مثل الطبيب الذى يصف لكل مريض ما يناسبه من الدواء.

وإذا أهمل المعلم هذه الصفة أثَّر ذلك على أدائه كمعلم، وبات مجرد ملقن للدارسين ما لديه من المعارف القليلة.

ومع قلة استفادة الطلاب منه ينزعون ثقتهم به، ويُقلِّون من احترامهم له، حين ينظرون إليه فيجدونه فارغاً.

ومن ثم أكد الأئمة على ضرورة العناية بهذه الصفة وقبح التخلِّى عنها.

عن سفيان بن عيينة رضى الله عنه أنه قال يومًا لأصحابه: " من أحوج الناس إلى طلب العلم؟ قالوا: قل يا أبا محمد.

قال: " **ليس أحد أحوج إلى طلب العلم من العالم، لأنه ليس الجهل بأحد أقبح به من العالم** "[١].

(٤) نظافة المظهر والصورة:

سبقت الإشارة إلى أن التلميذ مفطور على تقليد أستاذه، والتشبه به فى جميع أحواله.

وما دام الأمر كذلك فإن من الواجب على المعلم أن يبدو أمام تلاميذه بصورة مناسبة لا إفراط فيها ولا تفريط، فيبدو حسن المظهر، طيب الريح، فذلك أدعى إلى أن يكون المعلم مقبولا من طلابه والمتعاملين معه.

---

(١) تقريب كتاب الفقيه والمتفقه (ص٣٤) الحافظ الخطيب البغدادى ــ الناشر زكريا على يوسف ــ القاهرة ــ بدون تاريخ .

ولست أعنى بذلك ــ بداهة ــ أن تتحول دار العلم إلى مجال للتنافس فى عرض الأزياء، أو أن يكون الاهتمام بالشكل على حساب المــضمون، ولكننا لا ننكر تأثر العين بما ترى، كتأثر الأذن بما تسمع، ولذا وجب على المعلم العناية بمظهره ومخبره معًا، حتى لا تشمئز منه النفوس، وتتناولــه الألسنة بالكلام.

ولنا فى سلف الأمة الصالح من العلماء والمربين قدوة حسنة، فعــن عبد الملك بن عبد الحميد الميمونى قال : " ما أعلم أنى رأيت أحدًا أنظــف ثوبًا، ولا أشد تعاهدًا لنفسه فى شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه، ولا أنقــى ثوبًا وأشده بياضًا من أحمد بن حنبل"(١) .

وعن يحيى بن محمد الشهيد قال: " **ما رأيت محدثًا أورع من يحيــى ابن يحيى ولا أحسن لباسًا منه** "(٢) .

وثمة جوانب أخرى فى شخصية المعلم المسلم فى نفسه لكنها ــ فى نظرى ــ لا تخرج عما ذكرت. ولذا أكتفى به، وأبدأ فى التعــرف علــى مقومات المعلم المسلم بين طلابه.

مقومات المعلم المسلم بين طلابه:

لا تثمر العملية التعليمية ثمرتها المرجَّوة دون مراعاة المعلم لعدد من الصفات ينبغى العناية بها فى تعامله مع طلابه وتلامذته، بالإضافة إلى ما

---

(١) صفة الصفوة (٣٠٤/٢) أبو الفرج ابن الجوزى ــ طبعة رابعة سنة ١٩٦٨م ــ دار المعرفة ــ بيروت .

(٢) الجامع لأخلاق الراوى، وآداب السامع (١/ ٣٨١) الحافظ الخطيب البغدادى .

سبق ذكره من صفات ذاتية فيه.

وبالنظر إلى هذه المقومات نرى بعضها يتعلق بأداء المعلم في الجانب التعليمى وبعضها يتعلق بما ينبغى أن تكون عليه العلاقة بينه وبين تلامذته.

وفيما يلى إشارة إلى أهم هذه المقومات.

(أ) الربط بين التعليم والتربية الإسلامية[1] فى ذاته وأهدافه:

سبقت الإشارة فى الفصل الأول إلى أن الإسلام يحث أبناءه على طلب العلم، ويرغبهم فى تحصيله، وأن العلم فى الإسلام أوسع فى مفهومه من أن يتعلق بالآخرة دون الدنيا، أو يشبع حاجة الروح مع إهمال الجسد، بل هو يشمل ذلك كله فى إطار الإيمان بالله تعالى، وأن العلم النافع هو الذى يعين صاحبه على معرفة خالقه، ويدعوه إلى توثيق الصلة به وبمنهجه.

ويتحمل المعلم العبء الأكبر فى تحقيق هذا الهدف، إذ أنه يلتقى فى اليوم الواحد مع العديد من الطلاب، ولفترات تزيد على السنة أحيانًا، وكلهم ــ بين يديه ــ أذن صاغية وعقول واعية، وتأثرهم به واقع لا محالة، وإن نفعًا أو ضرًا، وإن خيرًا أو شرًا.

وعليه فإن من وجب المعلم إلا يقتصر فى أدائه لرسالته على حشد

---

(١) التربية الإسلامية أوسع فى مفهومها من التربية الدينية، فهى لا تشمل معلم الدين فقط، بل كل معلم فى مجال تخصصه مسئول عن الأجيال التى يعلمها لتربيتها تربية إسلامية من خلال ما يعلمه، وهو ما ركزت على بيان أهميته فى هذه النقطة.



المعلومات، وحشو الأذهان، وتدريس المقرر دون محاولة الارتقاء بالسلوك وتربية القلوب من خلال المادة التى يدرسها، فإن ذلك من شأنه أن يجعل العلم كالجسد الخالى من الروح.

يقول المفكر الإسلامى محمد إقبال: " أى فائدة للمجتمع من علم لم يكن تأثيره فى المجتمع كتأثير عصا موسى فى الحجر والبحر" (١) .

ويخاطب من يشغلهم الشكل عن المضمون، والصورة عن الحقيقة فيقول:

" يا أهل الذوق والنظر العميق: أنعم وأكرم بنظركم، ولكن أى قيمة للنظر الذى لا يدرك الحقيقة ؟ لا خير فى نشيد شاعر، ولا فى صوت مغن إذا لم يفيضا على المجتمع الحياة والحماس. لا بارك الله فى نسيم السحر إذا لم تستفد منه الحديقة إلا الفتور والخمول والذوىَّ والذبول"(٢) .

هذا ولا يخلو علم من العلوم من إمكانية توجيهه لصالح التربية الإسلامية، وخدمة قضايا الدعوة، إذا وُجِدَ المدرس الكفء، وتجرد لخدمة الإسلام من خلال تخصصه، وسنحاول فى المبحث الخاص بالمناهج ــ بإذن الله ــ أن نَتَعَّرف على الخطوط العريضة التى بمقتضاها يمكن خدمة قضايا الدعوة الإسلامية من خلال المواد التى يدرسها الطلاب.

وأمامنا تجربة الغرب، بشقيه: الرأسمالى والشيوعى، فقد نجحوا هناك فى إخضاع كافة العلوم لتحقيق أهدافهم، ليس هذا فحسب، ولكنهم صدَّروا إلينا مناهجهم وطرائقهم فى التعليم مما أدى إلى نشأة أجيال مسلمة

---

(١) روائع إقبال (٦٠-٦١) أبو الحسن الندوى .

(٢) روائع إقبال (٦٠-٦١) أبو الحسن الندوى.

لا تعرف الإسلام، ولا تحب أن تتعرفّ عليه، كما صرَّح بذلك زويمر زعيم المبشرين، وكما سيتضح لنا أكثر فى الفصل الأخير الذى يتناول واقع التعليم المعاصر إن شاء الله تعالى.

وعلى سبيل التمثيل لإمكانية تطويع التعليم لخدمة قضايا الدعوة الإسلامية أسُوق هذا المثل لأحد قادة الدعوى الإسلامية بالجزائر، وهو الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله.

كان الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله حريصًا على سلامة اللسان العربى فى الجزائر من محاولات المستعمرين الفرنسيين القضاء عليه، واستبداله باللسان الفرنسى، فكان يدرِّس للناس فى المساجد والزوايا علوم اللغة العربية " ومنها علم النحو " وكان يشرح لهم ألفية ابن مالك، فكان يقف عند الكلمات والأمثلة، ويستخرج منها معانى تربوية.

فإذا قال ـــ مثلا :

كلامنا لفظ مفيد كاستقم   واسم وفعل ثم حرف الكلم

قال : (كلامنا) أى : نحن العرب المسلمين .

(لفظ مفيد) أى لا مجال فيه للمهاترات، وتضييع الأوقات.

(كاستقم) ويطيل الكلام حول الاستقامة وأهميتها، ومنزلتها من الدين ، وهكذا ثم يشرح القواعد.

ولئن استطاع الشيخ عبد الحميد بن باديس أن يخضع علم النحو لتحقيق أهداف تربوية تخدم الإسلام ـــ على النحو الذى بينا طرفًا منه ـــ



فإن بإمكان أى معلم أن يخضع مادته لتحقيق نفس الأهداف إذا صدقت النوايا، وبدا فى سلوك المعلم حرصه على هذا الأمر، وساعدته إدارة ومناهج للوصول إلى هذه الغاية.

(ب) عناية المعلم بأحوال تلامذته:

تقوم العملية التعليمية على ركنين أساسيين، هما المدرس والطالب. ويؤدى المدرس فى حياة الطالب دورًا لا يقل عن دور الأب، بل بالغ بعضهم فجعله فى منزلة أعلى.

يقول الشاعر:

من علَّم الناس كان خير أب فذاك أبو الروح لا أبا النطف.

وإذا كانت العلاقة بين المدرس والطالب إلى هذا الحد، فإن من الواجب على المدرس أن تنشأ بينه وبين طلابه علاقة مودة ومحبة مثل آبائهم تمامًا، فإن هذا مما يساعد على تأثر الطلاب بأستاذهم، واستجابتهم لتوجيهاته.

وقد أشار إلى أهمية هذا الأمر فى العمل التعليمى القدامى والمحدثون على السواء.

فمن القدامى الحافظ الخطيب البغدادى الذى أثر عنه قوله: " وخدمة الفقيه أصحابه بنفسه مما يصفى منهم المودة، ويلقى فى قلوبهم المحبة"[1] .

ونبه المحدثون أيضًا على هذا المعنى بالتركيز على أهمية الحب

(١) تقريب (كتاب الفقه والمتفقه) (ص ٢٨١) .

والتعاطف بين الأستاذ والطالب، وأن المدرس الذى يُحرم من هذا عليه أن يعتزل التدريس، لأنه لن يكون إلا مدرسًا مجدبًا لا خير فيه[1].

وقد حفل التاريخ الإسلامى بالكثير من النماذج والأمثلة لمعلمين أعطوا حبهم لتلامذتهم، فبادلوهم الحب بالحب، فأثمرت تربيتهم ثمرتها، وحققت أهدافها.

وعلى رأس هؤلاء سيدنا محمد ﷺ الذى كان ــ كما وصفه ربه ــ بالمؤمنين رؤوف رحيم، واختلط فى حسه ﷺ التعليم بالتربية، فكان يقول لأصحابه: [**إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم**] [2].

وكان يتعهدهم، فيسأل عن غائبهم، ويعود مريضهم، ويعين محتاجهم، ويطمئن على مدى تنافسهم فى الخير، فيسألهم: [**من عاد منكم اليوم مريضًا؟ من أصبح اليوم منكم صائمًا؟ من تصدق اليوم منكم على مسكين؟**][3] .فلما رأى أصحابه ﷺ ورضى الله عنهم هذه العناية أحبوه بقلوبهم، وافتدوه بآبائهم وأمهاتهم، وبلغوا فى حبهم له شأوا بعيدا، مما جعل أبا سفيان بن حرب يقول عام الفتح: " ما رأيت أحدًا يحب أحدًا، كحب

---

(١) انظر : (دراسات فى أصول التربية) ص ٣٢١ ــ د/ محمود قمبر وآخرون .

(٢) أخرجه أبو داود (١/١١) كتاب الطهارة ــ باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة/ وأخرجه النسائى بنحوه (١/ ٣٥) كتاب الطهارة ــ باب النهى عن الاستطالة بالروث/ وأخرجه أحمد (٢/٢٥٠) .

(٣) انظر : صحيح مسلم (٢/ ٧١٣) كتاب الزكاة ــ باب من جمع الصدقة وأعمال البر.



أصحاب محمد لمحمد "[١] .

وعلى هذا الهدى سار الأئمة المهديون من علماء الأمة وفقهائها.

فهذا سعيد بن المسيب ــ رضى الله عنه ــ يتفقد أحد تلامذته ــ وهو ابن أبى وداعة ــ فلما جاء قال: أين كنت؟ قال: توفيت أهلى فاشتغلت بها. فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها؟ فلما همّ بالإنصراف قال له سعيد : هل استحدثت إمرأة؟ فقال: يرحمك الله، ومن يزوجنى وأنا لا أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ فقال سعيد:" أنا .... وزوجه سعيد ابنته على درهمين، وكانت بنت سعيد هذه قد خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد بن عبد الملك حين ولاّه العهد، فأبى سعيد أن يزوجها[٢] .

وذكر عن الإمام أبى يوسف قوله: " كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مُقِلٌ رث الحال، فجاءنى أبى يومًا وأنا عند أبى حنيفة فانصرفت معه، فقال: يا بنى، لا تمد رجلك مع أبى حنيفة، فإن أبا حنيفة خبزه مشوى، وأنت تحتاج إلى المعاش، فقصرت عن كثير من الطلب، وآثرت طاعة أبى، فتفقدنى أبو حنيفة رضى الله عنه وسأل عنى، فجعلنى أتعهد مجلسه، فلما كان أول يوم آتيته بعد تأخرى عنه قال لى: ما شغلك عنا؟ قلت: الشغل بالمعاش وطاعة والدى. فجلست، فلما انصرف الناس دفع إلىَّ صرةً

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ــ (١٩/٢٠) القاضى عياض ــ طبعة ١٩٥٠م ــ مصطفى الحلبى ــ القاهرة .

(٢) انظر: (حلية الأولياء) ١٦٧/٢ ــ أبو نعيم الأصبهانى ــ طبعة أولى سنة ١٩٨٥م ــ دار الكتاب العربى ــ بيروت .

وقال: استمتع بها، فنظرت فإذا فيها مائة درهم، فقال لى: الزم الحلقة وإذا فرغت هذه فأعلمنى، فلزمت الحلقة، فلما مضت مدة يسيرة دفع إلىَّ مائة أخرى، ثم كان يتعاهدنى، وما أعلمته بخلة قط، ولا أخبرته بنفاذ شىء، وكأنه كان يخبر بنفادها. فلما كان أول يوم أتبين حتى استغنيت وتمولت" [١] .

فعلى المعلم المسلم أن يقفو أثر هؤلاء السلف الكرام فى إظهار العناية بالمتعلمين، لينشأ الحب والتعاطف، وبذا ينجح فى أداء رسالته.

وأقترح هنا عددًا من الوسائل التى يمكن للمعلم من خلالها أن يوثق صلته بطلابه، بالإضافة إلى ما ذُكر فى الأمثلة السابقة.

١ــ أن يتعرف المعلم على أسماء الطلاب، ليس فقط من خلال الامتحانات والواجبات، بل من خلال مشاركة الطلاب فى أنشطتهم وزيارتهم فى أماكنهم، حيث يأنس إليه الطلاب، ويتبسطون معه، وتزول الكلفة بينه وبينهم، مع بقاء الاحترام.

٢ــ إلقاء السلام على من يلقاه من طلابه، والتبسم فى وجوههم، وإظهار العناية بهم.

٣ــ الحرص على الكلمة الطيبة، والبعد عن التجريح فى الطلاب وغيرهم.

٤ــ الحرص على معرفة أحوال الطلاب الاجتماعية والمادية، والمساهمة فى حلِّ ما يكون فيها من مشكلات قدر الإمكان، ومشاركة

(١) وفيات الأعيان (جـ٦ ــ ص٣٨) ابن خلكان ــ بتحقيق الدكتور إحسان عباس ــ دار صادر ــ بيروت ــ بدون تاريخ .

الطلاب فى أفراحهم وأحزانهم.

٥ــ تحيُّن الفرص لتقديم الهدايا، وتبادل مشاعر المحبة والمودة.

٦ــ ربط الطالب ببيئة صالحة خارج المدرسة، وعدم الاكتفاء بالمتابعة داخل الفصول، واستخراج خبايا النفوس السيئة والعمل على إصلاحها، وتفقد الطلاب فى مسجد المدرسة أو الكلية، والسؤال عن غائبهم.

٧ــ إقامة دورات سنوية على هيئة مخيمات أو رحلات، مع العناية بالدروس التى تزكى النفوس، والتعاون على إحياء المعانى الإسلامية كالصيام والقيام وقراءة القرآن.

ويبقى المجال مفتوحًا أمام كل أستاذ ليتخير من هذه الوسائل ــ أو غيرها ــ ما يحقق التلاحم والترابط بين الأساتذة والطلاب، فتتحقق الفائدة، ويتأتى التأثير.

وثمة صفات أخرى لابد من عناية المعلم بها فى أدائه لرسالته، كالتواضع، والتحلى بالصبر، والاتصاف بالشجاعة فى قول الحق، وغير ذلك، لكن المجال لا يتسع للتفصيل فى جميعها، فأكتفى بما ذكرته تفصيلا مما له صلة وثيقة بالعملية التعليمية مما يعطيها الأولوية والأهمية، وإن كان ذلك لا يعنى أن ما سواها من الصفات لا حاجة للمعلم إليها، والله أعلم.

الواسطة الثانية: المنهج

مكانة المناهج فى العملية التعليمية

تستهدف أية عملية تعليمية نوعًا من التربية، يقوم على ترجمته منهج يُقَدَّم للدراسين ويجتهد أصحاب الخبرة وأهل التخصص فى أن يحقق هـذا المنهج تنمية شاملة للدارسين: جسميًا، وعقليًا، وروحيًا، واجتماعيًا، ونفسيًا، وفق خطة مستهدفة، وأمل يُرْجى تحقيقه.

فالمنهج ــ على هذا ــ هو عصارة وخلاصة ما يريد القائمون على التعليم بناء الأفراد عليه، وبحسب المادة التى يتلقونها تتأصـل فـيهم قـيم وميول واتجاهات.

ولذا قيل: " **قل لى ماذا تقرأ أقل لك من أنت** ".

ومن هنا تبدو أهمية المنهج، وخطورة موقعه فى العملية التعليمية .

جاء فى كتاب دراسات فى أصول التربية (١) فى بيان أهمية المنـاهج فى العمل التعليمى ما نصه: " المناهج هى الترجمـة الواقعيـة لتطبيـق الأهداف التعليمية، وتحويلها من مرحلة الأمانى إلـى مرحلـة التطبيـق والتنفيذ، وهى المجال الحيوى الذى يمكن أن نرى فيـه هـذه الأهـداف شخصية ملموسة. والمنهج ــ أصلا ــ هو جميع ما تقدمه المدرسـة إلـى تلاميذها تحقيقًا لرسالتها وأهدافها وفق خطتها فى تحقيق الأهداف" أ . هـ .

(١) المرجع المذكور (ص٥١) د/ محمود قمبر وآخرون.



وهذا ــ بدوره ــ يفسر السرَّ فى حرص كافة الأنظمة على أن تتفق سياستها التعليمية مع ما يختاره كل نظام منها لنفسه، ووضع المناهج على النحو المراد إعداد الأجيال عليه، وإعلان الرفض بشدة لأية سياسة تعليمية تتعارض مع الاتجاه العام للدولة أو النظام.

وبهذه المناسبة أذكر ما جاء فى تقرير أمريكى رسمى أن التربية هى أهم المجالات التى يجب العناية بها، والتى يجب أن تسبق التصنيع والدفاع، بل والصحة.

ويعلن التقرير أنه إذا جاءت أمة تفرض على أمريكا مناهج غير أمريكية فيجب إعلان الحرب فورًا (١) .

وكذلك أعلن أحد علماء روسيا الكبار فى مجال العلوم الطبيعية وهو " جفرن " عن تميز العلوم الروسية فى غاياتها وأهدافها عن سائر العلوم السائدة فى غير المجتمع الروسى، فيقول:

" إن العلم الروسى ليس قسمًا من أقسام العلم العالمى، إنه قسم منفصل قائم بذاته، يختلف عن سائر الأقسام كل الاختلاف، فإن سمة العلم السوفييتى الأساسية أنه قائم على فلسفة واضحة متميزة، إن التحقيقات العلمية لا تزال فى حاجة إلى أساس، وإن أساس علومنا الطبيعية الفلسفية المادية التى قدمها [ماركس، وإنجلز، ولنين، وستالين].

إنا نريد أن نخوض ــ وفى أيدينا هذه الفلسفة ــ فى معترك العلم

---

(١) أمة مُعَرَّضة للخطر ــ تقرير مقدم للجنة الوطنية بأمريكا ــ ونشرت التقرير مجلة رسالة الخليج العربى ــ عدد ١٢ ــ السنة الرابعة ١٩٨٣م .

الطبيعى العالمى، ونصارع جميع التصورات الأجنبية التى تناهض فلسفتنا المادية والماركسية بكل حزم وقوة" [1] .

وما يقال عن أمريكا وروسيا يقال عن أية دولة أخرى، فالصين رغم شيوعيتها ترفض المناهج الروسية، وبريطانيا ــ وإن كانت جارة وحليفة لفرنسا ــ لا تفكر فى استيراد نظامها التعليمى، وكذلك العكس، وهلم جرا.

معالم المنهج التعليمى فى النظام الإسلامى :

فى إطار إعداد الفرد المسلم، ليصبح لبنة فى بناء مجتمع مسلم، حرص الإسلام على أن يتلقى المسلم من العلوم ما يعمق فيه صلته بخالقه ، وحماه مما يمكن أن يزعزع عقيدته، أو يشوش عليه أفكاره وتصوراته.

وأضرب هنا مثلين من حياة النبى المعلم ﷺ ليكونا نبراسًا بين أيدينا، قدوة حسنة فى طريقنا بتعلم المسلم .

ففيما يتعلق بتعلمُّ المسلم ما يعمق صلته بخالقه ثبت عن رسول الله ﷺ أنه حرص على تعليم أصحابه القرآن، إما بنفسه، وإما بتوكيل أصحابه للقيام بهذه المهمة.

فمن **قبيل الأول** ما ورد عن الصحابى الجليل عبد الله بن عمر ــ رضى الله عنهما ــ قال: " كان رسول الله ﷺ يعلمنا القرآن، فإذا مرَّ

(١) نحو التربية الإسلامية الحرة فى الحكومات والبلاد الإسلامية (ص٥٥ ــ٥٦) أبو الحسن الندوى ــ طبع مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ بدون تاريخ .



بسجود القرآن سجد وسجدنا معه" [1].

ومن **قبيل الثانى** ما ورد عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُشْغَلُ، فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله ﷺ دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن" [2].

وفيما يتعلق بحماية المسلم من أى علم يشوش عليه، أو يصيبه باضطراب فى إيمانه أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن جابر عن عبد الله رضى الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتى النبى ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه النبى ﷺ فغضب، فقال:

" أمتهوكون [3] فيها يا ابن الخطاب؟ والذى نفسى بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية. لا تسألوهم عن شىء فيخبروكم بحق تكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به. والذى نفسى بيده لو أن موسى ﷺ كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعنى" [4].

وفى ضوء ما تقدم أرى أن معالم المنهج التعليمى فى النظام الإسلامى تحتوى على العناصر التالية:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد، واللفظ له (٢/ ١٥٧)، وأخرجه مسلم بنحوه (١/٤٠٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب سجود التلاوة .

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٢٤) .

(٣) أمتهوكون: قال فى النهاية (٥/٢٨٢) مادة: هوك " التهوك كالتهور، وهو الوقوع فى الأمر بغير روية، والمتهوك: الذى يقع فى كل أمر، وقيل: هو التحير " .

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٣٨٧) .

١ــ تنقية المناهج مما يخالف شرع الله.

٢ــ التركيز على بعض العلوم التى تعرف الدارسين بأسس دينهم.

٣ــ العمل على صياغة كافة العلوم بما يتفق وتعاليم الإسلام.

٤ــ الاهتمام بالإعداد الخلقى للدارسين مقترناً بالتربية العقلية.

ونعود بعد هذا الإجمال إلى التفصيل فى كل نقطة منها على حدة.

ففيما يتعلق بالنقطة الأولى تبدو أهميتها فى أن العالم المعاصر قد أصبح قرية صغيرة، وساعدت وسائل الاتصال السريعة على انتقال الثقافات والأفكار من مجتمع لآخر، ومنها ما يتعارض مع الإسلام، ويدعو إلى مخالفة قيمة.

يضاف إلى ذلك أنه فى ظل تخلف العالم الإسلامى، ووقوعه تحت السيطرة الغربية نجح أعداء الإسلام فى فرض مناهج دراسية تُروِّج لآراء المستشرقين والصليبيين، وتسبح باسم الحضارة الغربية، وترفع من قيمه علمائها، وتجعل من آرائهم ونظرياتهم قوانين تُبْنَى عليها حياة الفرد والمجتمعات، مع ما فى آرائهم من طعن فى الإسلام، ومخالفة لقيمه ومبادئه، وتشكيك فى فعالياته ومعطياته (١) .

وفى ظل تعليم إسلامى يرجو الله واليوم الآخر لا قبول لهذه الآراء والنظريات التى تشجع على الإلحاد والإباحية، إلا إذا عرضت مقرونة بما

(١) يترتب على تلقى المسلم للعلوم بهذه الصورة جملة من السلبيات سنتعرض لها بالتفصيل فى الفصل القادم إن شاء الله .



ينقضها، ويكشف زيفها.

في الوقت ذاته لابد من إبراز دور علماء المسلمين ونظرياتهم في كافة أنواع العلوم المختلفة، وهى كفيلة بإمداد المسلمين بما يحتاجونه إليه، مع تعميق إيمانهم بخالقهم، وذلك بعكس الأفكار والنظريات الغربية.

وننتقل إلى **النقطة الثانية**، وهى التركيز على بعض العلوم التى تعرف الدارسين بأسس دينهم.

وتبدو أهمية هذا الأمر فى أن إحساس المسلم بالانتماء إلى دينه، واستعداده للدفاع عنه إذا لزم الأمر لا يتأتى من فراغ، وإنما بتعرُّفه على محاسن دينه، ودوره الإيجابى فى إسعاد البشرية ورقيها.

ويمكن تحقيق ذلك من خلال منهج دراسى للتربية الإسلامية يراعى فيه ما يلى:

١ـ أن تكون التربية الإسلامية مادة أساسية فى جميع المراحل، من الابتدائية إلى الجامعة فى جميع أنواع التعليم العام والفنى، المدنى والعسكرى، مع العناية بإعدادها واختيار موضوعاتها بما يتناسب والمستوى الفكرى لكل مرحلة .

٢ـ إعداد المنهج الدينى المقرر على الدارسين بصورة مشوقة، وخالية من الغموض والتعقيد، وتعالج مختلف القضايا الفكرية والاجتماعية، وتصحح المفاهيم التى تتعارض مع الإسلام، بحيث تلبى حاجة الدارسين فيما يُفْرضُ عليهم معرفته من علوم الشريعة، ويخرجهم من دائرة الجهالة بدينهم وشرعهم .

٣ــ توجيه مزيد من العناية بــالقرآن الكــريم حفظـًـا ودراســة ــ وبخاصة فى المراحل الأولى ــ فقد أثبتت التجارب أن توجيه الناشئين إلى حفظ القرآن يحفظ عقائدهم، ويزكى عقولهم، ويجوِّد ألسنتهم .

يقول العلامة ابن خلدون فى مقدمته: " إعلم أن تعليم الوالدان للقرآن ــ شعار الدين ــ أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه فى جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب التعليم الذى يتبنى عليــه مــا يحــصل بعــدُ مــن الملكات" (١) .

٤ــ الارتقاء بمستوى الأداء فى تــدريس التربيــة الإســلامية بمــا يخرجها عن أن تكون دراسة نظرية مجردة، وأن يبدو أثرها الإيجابى على الدارسين فى سلوكهم وحياتهم، ولا يكون ذلك إلا بإعادة المكانــة اللائقــة للتربية الإسلامية بين سائر المناهج، وعدم التقليل من شأنها كما هو واقــع الآن (٢) ، والعناية باختيار مدرسيها من أصحاب الكفاءات العلمية الجيــدة،

---

(١) مقدمة ابن خلدون (ص٣٣٤) طبعة سنة ١٩٨٣م ــ دار ومكتبة الهلال ــ بيروت .

(٢) هناك مآخذ عديدة على طريقة تدريس التربية الإسلامية فى مدارسنا، ونلخصها فيمــا يلى:

١ــ عدم المعايشة للقضايا التى تشغل عقول الشباب، وتستحوذ علــى اهتمــامهم، وعــدم العناية بإبراز وجه الحق فى هذه القضايا .

٢ــ الاكتفاء بالحديث عن القيم الدينية التى تستفاد مــن دراســة بعــض النــصوص دون الاهتمام بكيفية التطبيق العملى لهذه القيم ودون الاهتمام بترقية السلوك على أساسها.

٣ــ خلو المنهج من العناية بعرض روح الإسلام ورسالته العامة للبشر كدســتور للحيــاة الإنسانية بكل أبعادها فى العقيدة والتشريع والأخلاق.=



المتمتعين بسيرة حسنة تؤهلهم لتدريس الإسلام وثقافته.

ولأن الدارس متأثر ــ لا محالة ــ بما يتعلمه، فإن من الأهمية بمكان ألا تنسف العلوم الأخرى ما تبنيه التربية الإسلامية.

وهذا ــ بدوره ــ ينقلنا إلى النقطة الثالثة فى معالم المنهج التعليمى فى النظام الإسلامى وهى:

العمل على صياغة كافة العلوم بما يتفق وتعاليم الإسلام.

وهذا الأمر ليس عسيرًا ولا مستحيلا إذا صدقت النوايا، وصح

= ٤ــ عدم العناية بإبراز العلاقة الحميمة بين الدين والعلم، وبين العقيدة والحياة، والاكتفاء بدراسة الدين معزولا عن العلوم، ودراسة العلوم بعيدًا عن الدين،وترك الناشئة والشباب نهبًا للتمزق النفسى والصراع الفكرى دون تفسير لما قد يظهر لدى الشباب من اعتقاد التفاوت بين الدين والعلم .

٥ــ عدم العناية باختيار المدرس صاحب القدرة على عرض منهج التربية الإسلامية بالأسلوب الذى يحقق الغاية منه.

والنتيجة لذلك كله هى ما سبقت الإشارة إليه من أن التربية الإسلامية تخرج عن كونها تربية إلى كونها مجرد ثقافة عامة تؤهل الطالب للنجاح فى الامتحان دون أن يكون لها أثر واقعى فى حياته، بل تؤدى إلى زيادة نفوره من الدين .

بتصرف من مقال (الخطوط الفكرية ومشاكل الشباب) للدكتور / محمد الأحمدى أبو النور .

ــ وهو منشور ضمن مقالات مؤتمر مشكلات الشباب فى العالم الإسلامى المنعقد فى القاهرة بتاريخ ٣٠ مارس ١٩٨١م تحت إشراف المركز الدولى الإسلامى للدراسات والبحوث السكانية بجامعة الأزهر.

اعتقادنا بقدرة الإسلام على إصلاح النفس والمجتمع وسائر أحوال الناس.

ولقد طوعت هذه العلوم فى بلاد لتخدم الإلحاد وتدعو إليه، وفى بلاد أخرى لتمكين العلمانية وإزاحة الدين عن قيادة الحياة، فلماذا نتصور عجز الإسلام عن تطويع العلوم لخدمة الأهداف العليا للدعوة الإسلامية، وهو الدين الذى قاد البشرية بأسرها نحو التقدم والرقى فى شتى فروع العلوم، ولا تزال إسهامات علماء الإسلام ـ حتى يومنا هذا ـ رافدًا من روافد العلم فى أوروبا ؟

وقد مُرت بنا بعض أقوال الغربيين التى تؤكد على هذه الحقيقة.

ومن الضرورى فى هذا المجال أن يتوفر المتخصصون على توفير المناهج فى صورتها الإسلامية، وهو الأمر الذى يعيننا على أن نبدأ بداية حقيقيه، وليس مجرد اقتراحات وتوصيات.

ونذكر هنا بأن المتخصصين لم يدخروا وسعًا فى تقديم خبراتهم ومساهماتهم من خلال العديد من المؤتمرات التى عقدت لهذه المسألة خصيصًا فى أكثر من بلد إسلامى، ومن أشهر هذه المؤتمرات:

المؤتمر الأول للتعليم الإسلامى فى مكة المكرمة سنة ١٩٧٧م، والذى حضره ما يزيد على ثلاثمائة عالم ومفكر ومربٍّ من شتى أرجاء المعمورة، ووضعوا خطة لإيجاد نظام إسلامى للتربية والتعليم. وتلا هذا المؤتمر مؤتمرات أخرى فى باكستان والسودان وبنجلاديش وإندونيسيا.

وفى صيف عام ١٩٩٦ عقد مؤتمر فى القاهرة تحت إشراف جامعة الأزهر، للغرض ذاته. ولكن هذه المحاولات لا تتم الاستفادة بها ما لم تتفاعل معها وزارات التربية والتعليم فى العالم الإسلامى، وتؤخذ المسألة

بجد واجتهاد، وهو ما لم يحدث حتى الآن.

وفيما يتعلق بالنقطة الرابعة ــ والأخيرة ــ وهى: " الاهتمام بالإعداد الخلقى للدارسين مقرونًا بالتربية العقلية" فإن أهميتها تبدو فى أن الإسلام لا ينظر إلى العلوم على أنها مجرد تحصيل المعارف، وحشو العقول بها دونما نظر إلى ما يترتب على هذه العلوم من نتائج وآثار، بل يُقَسِّم العلوم إلى علم نافع وآخر ضار، ويتحدد كونه نافعًا أو ضارًا بمدى ما يحقق لصاحبه من سمو فى الأخلاق، وارتقاء فى علاقة العبد بخالقه، وتحقيق المنفعة العاجلة فى الدنيا والآجلة فى الآخرة.

يقول الإمام الشافعى: " ليس العلم ما حُفِظَ، العلم ما نفع" (١).

وعن وكيع قال: قالت أم سفيان الثورى لسفيان ــ رضى الله عنهم ــ: " يا بنى أطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلى" . وقالت له: "يا بنى إذا كتبت عشرة أحرف فانظر: هل ترى نفسك زيادة فى مشيك وحلمك ووقارك؟ فإن لم يزدك فاعلم أنه لا يضرك ولا ينفعك" (٢).

وعلى ذلك فإن نجاح التعليم فى أداء رسالته يعتمد بشكل أساسى على ما يحقق من آثار خلقية، وليس فى كمِّ الأموال التى ترصد له، أو عدد المدارس. أو عدد الحاصلين على شهادات، أو غير ذلك.

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم (ص٥) ابن جماعة الكنانى.

(٢) صفة الصفوة (١٨٩/٣) ابن الجوزى ــ طبعة رابعة سنة ١٩٨٦م ــ دار المعرفة ــ بيروت.

يقول الدكتور عباس محجوب: " يقع القائمون على التعليم فى خطأ كبير، وهو الاعتماد الكلى على الجانب الإحصائى فى إبراز منجزات التعليم من حيث التطور الكمى وعدد المدارس والمدرسين، والزيادة الرأسية فى ميزانيات التعليم ونسبتها إلى الميزانية العامة، وما إلى ذلك من الشكليات، وعلى ذلك يفضلون من يحمل شهادة على من سواه، ولو كان كافرًا بالله.

والمعروف أن الإحصاء هو شكل لا يدل على المضمون، وأن العبرة فى التعليم ليست فى النواحى الكمية، بل فى آثار التعليم، وماذا أضاف إلى الإنسان فى فكره وعقله وتجاربه وثقافته، ما أثر التعليم فى تغير اتجاهات المجتمع نحو ما هو مطلوب ؟ ما هى التحولات الاجتماعية والاقتصادية التى أحدثها المجتمع؟ ما دور المناهج وما مدى مناسبتها تربويًا؟

هذه الاسئلة وغيرها هى التى يفترض أن تشغل ذهن العاملين فى التعليم بدلا من الإحصاءات والتقارير واللجان والاجتماعات وغير ذلك مما يأخذ الجهد والوقت على حساب التعليم" [(١)] . أ. هـ

إن إهمال هذا الجانب التربوى الخلقى، يؤدى ـ كما يقول الأستاذ أبو الحسن الندوى ـ إلى أن يصبح نظام التعليم نظامًا خشبيًا جامدًا، لا حياة فيه ولا حركة، ولا نمو فيه ولا ازدهار، وتصبح المدارس والجامعات مراكز حياة رتيبة جامدة، يسودها الركود، ويهيمن عليها

---

(١) مشكلات الشباب: الحلول المطروحة والحل الإسلامى (ص٥٠) بتصرف د/ عباس محجوب ـ كتاب الأمة ـ رقم (١١) ـ طبعة ثانية سنة ١٤٠٦هـ.



الجمود، وتتحكم فيها القوانين واللوائح [1].

وهو ما يخرج بالتعليم عن رسالته الحقيقية، ويتخلى به عن هدفه الأصيل.

وفى ختام حديثى عن معالم المنهج التعليمى فى النظام الإسلامى أرى من الضرورى الإشارة إلى شيء قد يلتبس فهمه على البعض، وهو أننا لا نعنى بذلك الاهتمام بالعلوم الشرعية دونما سواها من علوم إنسانية وتجريبية وغيرها، بل على العكس زيادة العناية بهذه العلوم مع الانطلاق بها من منطلق إسلامى، وتوفير ما يحتاجه المسلمون فى كافة التخصصات من خلال أناس مؤمنين بالله، وملتزمين بأخلاق الإسلام.

وبهذه المناسبة نذكِّر بأن العلماء ينكرون على أية جماعة يتوجه جمهور متعلميهم إلى الفقه ونحوه، على حين لا يوجد فى بلد من بلدان المسلمين إلا طبيب يهودى أو نصرانى يوكل إليه علاج المسلمين والمسلمات، وبينوا أن الإحاطة بعلم الطب، وسدّ حاجة أهل البلد من هذا التخصص تُعَدُّ من فروض الكفايات، وهكذا فى كل نظير من العلوم.

***

(١) انظر: (نحو التربية الإسلامية الحرة فى الحكومات والبلاد الإسلامية) ص ٦٣.

الواسطة الثالثة

المؤسسة التعليمية

أهمية المؤسسات فى العمل التعليمى:

لا تستغنى العملية التعليمية عن لقاءات ذات طابع منظم بين الأساتذة والطلاب، ويحتاج ذلك ــ بالضرورة ــ إلى مكان تتوافر فيه الإمكانات للمساعدة على تلقى الطلاب للعلم.

وفى عصور الدولة الإسلامية الأولى كانت المدارس تقام داخل المساجد، ولكن مع زيادة الأعداد التى صارت تقصد المدارس، وضيق المساجد عن استيعابها، فضلاً عما تعارفت عليه المجتمعات من وجود مساحات واسعة كملاعب للطلاب، وفصول للدراسة بها مقاعد وسبورات، ومعامل ومختبرات، وغير ذلك مما صار سمة للمدرسة العصرية، اقتضى ذلك التحول عن المساجد إلى المدارس [١] .

وللمؤسسة التعليمية دور فعال فى العمل التعليمى، يمكن تلخيصه فيما يلى:

١ــ أنها البيئة الاجتماعية التى تناسب كل فرد حسب سنِّه، فهو يلتقى مع أقرانه ورفاقه، ومن خلال هذا الاحتكاك يمكن غرس القيم الخلقية ذات

(١) لا يعنى ذلك انعدام دور المساجد فى التعليم، إذ لا تزال كثير من المؤسسات والهيئات مرتبطة بالمساجد فى أداء رسالتها التعليمية.



الطابع الاجتماعى فى نفوس الدارسين ، كالتعاون والحب وأداء الواجب وتحمل المسئولية والحرص على استثمار الوقت، وغير ذلك.

٢ــ أنها البيئة الخصبة لاطلاع الدارسين على قيادات وقدوات حسنة، تتمثل فى أساتذتهم والقائمين على تربيتهم، وذلك من شأنه أن يكسبهم أخلاقًا كريمة، ويزودهم بالكثير من خبرات الحياة.

٣ــ تزويد الدارسين بالمعارف والعلوم المتنوعة التى تناسب قدراتهم وأعمارهم، مما يعينهم على النهوض بأنفسهم ومجتمعاتهم.

ومن هنا تبدو أهمية المؤسسات التعليمية وحجم المسئولية الملقاة على عاتقها، وتقدير مدى الخسارة التى يمكن أن تكون إذا حدث وفشلت المؤسسات التعليمية فى أداء رسالتها.

" إن المزارع إذا أخفق فالخسارة ضياع موسم زراعى، وإذا أخفق المصنع فالخسارة ضياع حفنة من الدراهم، ولكن إذا أخفقت المؤسسات التعليمية فالخسارة ضياع جيل.

إن ثمن خطأ أحد ركاب القطار لا يدفعه إلا هو، أما إذا أخطأ قائد القطار فالركاب والمركبة سيواجهون الضياع" (١).

صورة المؤسسة التعليمية فى النظام الإسلامى

فى إطار ما سبقت الإشارة إليه من دور فعَّال للمؤسسة التعليمية

(١) بتصرف من مقال بعنوان (الجامعة فى مجهر القراءة المعاصرة) للدكتور/ مصطفى السيد مجلة البيان (ص٥٢) ــ العدد ٤٠ ــ ذو الحجة ١٤١٣ هــ ١٩٩١م.

تتحدد الصورة لتلك المؤسسة فى النظام الإسلامى.

وإذا كنا لا نختلف على أن الجانب التعليمى التثقيفى يُعَدُّ فى طليعة ما تسديه المؤسسات التعليمية من خدمة للدارسين فإن الواضح أن هذا الجانب أصبح هو المهيمن على المؤسسات التعليمية الآن، وتضاءلت إلى جواره سائر الجوانب، ولا أدلَّ على ذلك من قياسنا لدرجة نجاح أية مؤسسة منا بما تحقق من سمعة طيبة، ونتائج مرجوة، ونسبة نجاح مرموقة دون نظر إلى شيء آخر .

لقد حكم التربويون على المؤسسة التى تقصر رسالتها على تحقيق هذا الجانب بالإخفاق والفشل.

جاء فى كتاب " دراسات فى أصول التربية "[(1)] : " انتقد روبرت دريبين الفكر التربوى التقليدى الذى حصر فهمه للمدرسة كعملية تدريس، تنصب أساسًا على الجوانب المعرفية واعتبر هذا الفهم فهمًا جزئيًا وغير شامل لكل جوانب التعليم المدرسى، فالجانب المعرفى ليس هو الجانب الأهم فى عمل المدرسة ، فمن الممكن للتلاميذ (صغارًا أو كبارًا) أن يصلوا إلى المعارف والمعلومات حتى فى مستوياتها العليا من مصادر خارج المدرسة مثل: وسائل الاتصال، والسفر والرحلات، والمتاحف والمكتبات، أو بالاتصال الشخصى المباشر مع الآخرين، فمن الصعب أن تعتبر المدرسة هى المصدر الوحيد فى هذا الجانب (إمداد التلاميذ

---

(١) المرجع المذكور (ص١٩٩ ــ ص٢٠٢) بتصرف يسير ــ د/ محمود قمبر وآخرون.



بالمعارف والمعلومات) فغيرها من المؤسسات الاجتماعية يمكن أن يشترك معها فى هذه الصفة.

ويضيف قائلاً: " إن فترة المدرسة بالنسبة للتلاميذ هى فترة انتقال من عالم الأسرة إلى عالم الكبار، وفى عالم الأسرة تقدم العلاقات على الشعور والعواطف المتبادلة بين أفراد الأسرة، ولكن فى عالم الكبار فإن العلاقات منتظمة ورسمية وغير شخصية، تقوم على مستوى الأداء والكفاءة، والمدارس تنقل الصغار من العلاقات العاطفية والشخصية للأسرة، وتعدهم لحياة فى عالم الكبار". أ . هـ

وعلى ذلك فلابد ــ مع القيام بالجانب التعليمى التثقيفى ــ من تغطية جوانب أخرى نلخصها فيما يلى:

١ــ المحافظة على الالتزام داخل المؤسسة التعليمية فيكون المدرسون والمدرسات قدوة لتلاميذهم، مع التزام المؤسسة بالفصل بين البنين والبنات، بحيث تكون لكل نوع منهما مدرسة تخصُّه .

٢ــ العمل على إعداد مكان مناسب للصلاة والوضوء، وتنظيم الأوقات لتتفق مع مواقيت الصلاة، ومبادرة الأساتذة لمشاركة تلاميذهم وطلابهم فى القيام بهذه الفريضة.

٣ــ العمل على تثقيف الطلاب وتعهدهم خارج إطار المنهج الدراسى، وذلك عن طريق التوجيه والإرشاد المستمر بواسطة الندوات والكلمات الصباحية والنشرات، ويتم اختيار الموضوعات وفق خطة منتظمة تستهدف تعميم الخير والترغيب فيه، واقتلاع الشر والترهيب منه.

٤ــ إحياء الأنشطة الاجتماعية الطلابية من رحلات وكشافة وخلافه، مع توجهها بما ينّمى فى نفوس الدارسين الأخلاق الإسلامية، ويزرع فيما بينهم المودة والمحبة على أساس من طاعة الله.

٥ــ ربط المؤسسة التعليمية بالبيت، وذلك عن طريق الصلة الدائمة بأولياء الأمور، وحثهم على أن يكونوا قدوة حسنة لأبنائهم.

والخلاصة ــ كما يقول الأستاذ محمد قطب فى بيان صورة المدرسة الإسلامية: " المدرسة الإسلامية باختصار هى " معمل التفريخ " الذى ينشىء الأجيال المسلمة... أجيال تعرف دينها وتحبه وتعمل به. تعرف سعته وشموله وتكامله، وتعيشه وتمارسه فى عالم الواقع.

هى السند الحقيقى لبيت المسلم تكمل رسالته وتزيدها رسوخاً، وتسعف هى فيما قصَّر فيه البيت.

تربيتها وتعليمها، وجُدها ولعبها، مستمدة كلها من روح الإسلام وتوجهاته الشخصية الإسلامية هى طابعها المميز، وهى النموذج الذى تسعى إلى تكثيره وتعميمه.

الحب والاحترام المتبادل هو أساس العلاقات فيها. حب مستمد من الأخوة الشاملة فى الله، واحترام من الصغير للكبير مستمد من أوامر الإسلام .... "[1].

(١) منهج التربية الإسلامية (١٧٩/٢) طبعة ثانية ١٩٨١م ــ دار الشروق ــ القاهرة .



قد تكون هذه المؤسسة صغيرة الحجم فيقوم على إدارتها فرد أو أفراد قليلون، وقد تكون كبيرة تستلزم عددًا كبيرًا كى تؤدى رسالتها، وفى كلتا الحالتين يجب أن يبقى طابع الإسلام هو المهيمن على تصرفات الجميع، وأن يستشعر المسئولون عن المؤسسة خطورة المسئولية الملقاة على عاتقهم، وأن المجتمع قد دفع إليهم بفلذات أكباده ليصنع منهم رجالاً يعتمد عليهم فى مستقبله، وأنهم ـ بحسن رعايتهم وإعدادهم لطلابهم ـ يقدمون خدمة جليلة يثيبهم عليها ربهم، ويقدِّرها لهم مجتمعهم .

الفصل الثالث

التعليم المعاصر

رؤية إسلامية نقدية

ويشتمل على المباحث التالية:

١ــ الوضع القائم للتعليم فى البلاد الإسلامية.

٢ــ تقييم الوضع القائم للتعليم من الوجهة الموضوعية.

٣ــ تقييم الوضع القائم للتعليم من الوجهة الإسلامية.

١- الوضع القائم للتعليم في البلاد الإسلامية

بعد أن عرفنا موقف الإسلام من قضية التعليم، وحرصه على أن يكون أداة لتعريف الناس بربهم، وعونًا لهم على طاعته، وتذليل كافة الوسائط من أستاذ ومنهج ودار تعليم لتحقيق هذا الغرض، نعود بعد ذلك لننظر فى مدى التوافق بين هذا الكلام وبين الواقع الذى يعيشه المسلمون.

لابد من الاعتراف أولا أن كثيرًا من مظاهر الحياة المعاصرة قد ابتعدت عن منهج الإسلام، وبات الإسلام غريبًا عند كثيرين، إلا من رحم ربى.

ومن أبرز المجالات التى تظهر فيها هذه الغربة، ويتجلّى فيها الابتعاد عن منهج الإسلام فى واقعنا هو مجال التعليم.

وإن نظرة متأنية إلى واقع التعليم ترينا إلى أى مدى ابتعدنا فى هذا المجال عن تعاليم الإسلام.

لقد بات التعليم- فى حس الأستاذ والطالب على السواء - وسيلة يستعان بها على تحصيل الكسب،[١].وخرج عن كونه رسالة، وبدلا من أن

(١) اكتساب الإنسان ما يقوّم به معيشته من خلال شغله بالتعليم ليس عيبًا فى ذاته، ولكن قصر التربية عليه يضيق من آفاقها، ويحول بين الإنسان وبين الرقى الخلقى والحضارى، ويجعله عبدًا لشهواته وغرائزه، فى حين أن المرء إذا احتسب عمله لوجه الله نال عليه الثواب من الله، وحصّل عليه الأجر الدنيوى دون نقصان، ويؤيده ما جاء فى الأثر: "مثل=



يدل الناس على الله أضعف إيمانهم، وشجعهم على الجهر بمعصية خالقهم، والتمرد على شريعته، وسُخِّرتْ كثير من نتائج العلم لتحطيم البشرية بـدلا من نفعها.

ولم ينشأ هذا الوضع المأساوى من فراغ، وإنما بسبب تخلِّى المسلمين عن التمسك بما تمليه عليهم شريعة ربهم من تطويع التعليم لتحقيق الصلة بدينهم، واعتمادهم الكلى على مناهج وأساليب غير المسلمين فى التعليم من حيث أسلوب التعليم وأسماء الشهادات وسنوات الدراسة، والحياة داخل المؤسسة التعليمية، وضروب الثقافة التى يتلقونها.. إلخ (١).

وقد كانت النتيجة لذلك كله أن نشأت أجيال لا تعرف من الإسلام إلا اسمه، واستُخْدِم العلم لأغراض أبعد ما تكون عن الإسلام كما بينا منذ قليل.

= الذى يعمل ويحتسب فى صنعته الخير كمثل أم موسى، ترضع ولدها وتأخذ أجرها" ذكره ابن كثير فى تفسيره (٣٨٢/٣) تفسير سورة القصص .

(١) ساعد على لجوء المسلمين إلى غير المسلمين واستيرادهم لمناهجهم فى التعليم وغيره ما أصاب المسلمين فى الفترات الأخيرة من تخلف حضارى، فى حين قفزت الحضارة الغربية قفزات هائلة فى مجالات العلوم والتكنولوجيا، فدفع ذلك كثيرًا من المثقفين إلى إعلان إعجابهم بتلك الحضارة، ودعوتهم إلى استيراد كل ما فيها دون تمييز بين ما هو طيب وما هو خبيث، وقد ترتب على ذلك أن أضاع المسلمون دينهم بالتخلى عنه، وضاعت منهم دنياهم فبقوا كما هم متخلفين .

وفى نهاية هذا البحث سنتعرف على الضوابط التى تحكم اقتباس المسلم عن غير المسلمين، حتى لا يصبح تقليدًا أعمى كما هو واقع الآن.

وفيما يلي توضيح للوضع السائد لمناهج التعليم وأساليبه في البلاد الإسلامية، نسوقه كدليلٍ على غربة الإسلام في هذا المجال الحساس.

أولا: بالنسبة للغة وعلومها:

يشير الأدباء والنقاد إلى أن اهتمام الشعوب بلغاتها دليل على رقيها وحضارتها، وإهمالها لها دليل على انحطاطها وذلتها.

يقول مصطفى صادق الرافعي: "ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار"(١).

ويضيف قائلا: "وليس في العالم أمة عزيزة الجانب تقدم لغة غيرها على لغة نفسها"(٢).

ويؤكد على أن الخطوة الأولى نحو استعمار الشعوب، وقطعها من جذورها الأولى أنما يكون عن طريق إبعادهم عن لغتهم، فيقول:

"لا جرم أن كانت لغة الأمة هي الهدف الأول للمستعمرين، فلن يتحول الشعب أول ما يتحول إلا من لغته، إذ يكون منشأ التحول من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه، ورجعت قوميته صورة محفوظة في التاريخ، لا صورة محققة في وجوده، فليس كاللغة نسب للعاطفة والفكر"(٣).

---

(١) وحي القلم، ص٣٦، ص٣٨، المكتبة التجارية الكبرى – القاهرة– الطبعة السادسة – بدون تاريخ.

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) وحي القلم، ص٣٦، ص٣٨، المكتبة التجارية الكبرى –القاهرة– الطبعة السادسة– بدون تاريخ.



فإذا جئنا إلى اللغة العربية – لغة القرآن والإسلام – رأينا الدول الإسلامية غير الناطقة بها لا تعطيها أدنى قدر من الاهتمام فى مناهجها أو مدارسها.

وفى البلاد الإسلامية الناطقة بالعربية قلّ من يستطيع أن يتحدث بالفصحى دون خطأ أو لحن، فالمناهج دون المستوى المؤهّل لذلك، ويشيع على الألسنة أن اللغة العربية لغة معقدة وصعبة(١)، ومدرس اللغة العربية لا ينال من الاحترام ما يناله غيره.

وبقدر ما تُحْتَقر اللغة العربية فى بلادها تسمو اللغات الأجنبية وتعلو، وترتفع الأصوات منادية بضرورة تعلمها باعتبارها لغة الحضارة، ويتم توفير كل السبل المعينة على تحقيق ذلك، فالمعاهد المتخصصة فى تعليم اللغات الأجنبية تمتد فى طول البلاد وعرضها، والوسائل السمعية والمقروءة والمرئية لنشر هذه اللغات تباع بأبخس الأثمان...إلخ. ويتم ذلك كله على حساب اللغة العربية، التى يزداد نفور الطلاب منها ومن كل ما يمتُّ لها بصلة، فى حين يحبون اللغات الأجنبية، ويزداد تعلقهم بها.

---

(١) من خلال الاحتكاك المباشر بطلاب العلم الوافدين من بلدان العالم الإسلامى التى لا تعرف اللغة العربية ولا تعرف اللغة الإنجليزية مثل الصين وتركيا وإندونيسيا... إلخ، وذلك خلال إعارتى إلى الجامعة الإسلامية بإسلام أباد– وهذه الجامعة تكلفهم بدراسة اللغتين معًا– تبين لى أن فهم الطلاب واستيعابهم للغة العربية يفوق إلى حد كبير اللغة الإنجليزية، وقد قال لى بعض الصينيين: إن مشكلة المشاكل لديهم هى اللغة الإنجليزية، أما اللغة العربية فهى سهلة ومحببة إلى نفوسهم، وهذا يدفع الفرية التى تلصق باللغة العربية دائمًا، وهى أنها لغة معقدة وصعبة.

وفى مجال الأدب فُتح المجال على مصراعيه للأدب الحديث، والذى يقلُّ جزالة وروعة وفخامة أسلوب عن الأدب القديم، وفى ذلك ما فيه من بتر الأمة عن جذورها، وإضعاف لغة المعاصرين.

وفى الوقت ذاته تعالت أصوات تنادى بفصل الأدب عن الدين والأخلاق، وتسربت هذه الأفكار المسمومة إلى مناهج الدراسة، فغدا بعضها حربًا على الأخلاق، ودعوة إلى التحلل وعدم الالتزام.

ثانيًا: بالنسبة للدراسات التاريخية:

على الرغم من أهمية تلك الدراسات فى بيان سنن الله فى خلقه، وما يمكن أن تحدثه من تغيير فى النفوس عندما تُعْرَض عليها بأسلوب تربوى خُلُقى، نجد هذه المادة قد عبثت فيها الأيدى بما جعلها أداة هدم لا أداة بناء.

ففى هذه المادة يتم التركيز على إحياء التاريخ القديم السابق على الإسلام كتاريخ الفراعنة والآشوريين والكنعانيين والفينيقيين وغيرهم بصورة برَّاقة تغرى بمعرفتها، وتعمل على نشرها وإذاعتها، مما يجعل المسلم مذبذبًا بين دينه وبين تلك الحضارات.

يقول أحد المستشرقين:ـ "إننا فى كل بلد إسلامى دخلناه نبشنا الأرض لنستخرج حضارات ما قبل الإسلام ولسنا نطمع بطبيعة الحال أن



يرتد المسلم إلى عقائد ما قبل الإسلام، ولكن يكفينا تذبذب ولائه بين الإسلام وبين تلك الحضارات"[1].

وإذا لزم الأمر وتمَّ تدريس التاريخ الإسلامى فإنه يُعرض كمرحلة من مراحل الصراع على الملك، كما هو الحال فى عرض تاريخ الأمويين والعباسيين، أو مرحلة من مراحل الاحتلال والتسلط على الغير كما يفعلون مع الدولة العثمانية.

وتختفى فى هذه الدراسة إسهامات المسلمين فى الرقى البشرى، وما قدموه للإنسانية فى سبيل انتشالها من جاهليتها وتخلفها.

وكذلك تغفل هذه الدراسة الحركات الإسلامية الناهضة فى العالم الإسلامى والتى تصدت للاستعمار، وحافظت على هوية الشعوب المسلمة، وذلك كالسنوسية فى المغرب العربى، والسنورسية فى تركيا، وغيرهما من الحركات التى عمت العالم الإسلامى بأسره.

فى حين تُعْرَضُ هذه الدراسة باعتبار عصر النهضة يبدأ بحملة نابليون بونابرت على مصر، وفى ذلك ما فيه من إيحاء بأن الأوروبيين هم رسل الحضارة، وأن مدنية الغرب هى أرقى شىء جاء أو يمكن أن يجىء إلى هذا العالم، فى حين لا يُشارُ – من قريب أو من بعيد – إلى ما اقترفته أيديهم من سفك للدماء، واستباحة للأعراض، واستعمار للشعوب، واستنزاف لخيراتها.

---

(١) واقعنا المعاصر (٢٠٢) محمد قطب – طبعة أولى ١٩٨٦م – مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر – جدة.

ثالثًا: بالنسبة للمواد العلمية:

رغم حياد هذه المواد، وعدم انطباعها بشخصية مخترعيها، كعلم الطب والأحياء والكيمياء والفيزياء وغير ذلك، إلا أن هذه المواد يمكن من خلال عرضها تعميق الإيمان بالله أو العكس.

ومن خلال المناهج التى يدرسها الطلاب لا نرى أثرًا لربط هذه المواد بما يعمق فى نفوس الدارسين الإيمان بالله الخالق، ولكن على العكس من ذلك نرى النظريات العلمية المتعارضة مع مبادىء الإسلام كنظرية دارون فى النشوء والارتقاء يدرسها الطلاب على أنها حقيقة علمية، ولا يصحبها ما ينقضها أو يرد عليها من مبادئ الإسلام، بل إن من يبادر من المدرسين من تلقاء نفسه بنقض هذه النظرية يوضع فى القائمة السوداء.

وتلمع فى هذه المجالات الأسماء الغربية كنيوتين وأرشميدس وجاليليو وغيرهم، ولا يذكر أى عالم من علماء المسلمين الأوائل فى هذه المجالات رغم كثرتهم، وكأن المسلمين عالة فى هذه العلوم على غيرهم، ولا توجد لهم أية إسهامات فيها.

فى الوقت ذاته تتسرب خلال المادة المعروضة ألفاظ تشجع على الإلحاد: كالطبيعة خلقت، والصدفة أوجدت، المادة لا تفنى، وإلى جانب ذلك يتم تفسير الظواهر الكونية كالزلازل والبراكين ونحوها بتفسيرات مادية بحتة.



رابعًا: بالنسبة للعلوم الإنسانية:

كانت هذه العلوم وهى علم النفس والفلسفة وعلم الاجتماع من أبــرز المجالات التى وضُح فيها التأثر بوجهة النظر الغربية، فلقد تبنت المدارس والجامعات نظرية فرويد فى علم النفس، والتى تدعو إلى التحلل الجنسى، وترجع كل شيء إلى التفسيرات الجنسية، كما تبنت نظرية دوركــايم فـــى علم الاجتماع، والتى تزعم أن الأديان والأخلاق والقيم هـــى مـــن صـــنع المجتمع، كما تبنت آراء "نيتشة" الزاعمة بأن الإله مـــن اختـــراع البـــشر ليغطوا ما لديهم من ضعف، وأنه لا بد للمؤمنين بالحس الأرضى مـــن أن يهووا بمعاولهم على تلك الفكرة، إلى غير ذلك من الأفكار والمذاهب التى غزت مناهج الدراسة دون أن يصحبها ما يبين خطأها، بل تُعْرَض وكأنها حقائق علمية لا يتطرق إليها الشك، ولا يعتريها الخطأ.

خامسًا: التربية الإسلامية

يُعَدُّ تدريس هذه المادة فى العالم الإسلامى مجــرد تــسديد خانـــات، فمناهجها لا تؤهل طالبًا لقراءة القرآن قراءة صحيحة، فضلا عن أن تصنع منه إنسانًا يختلط الإسلام بلحمه ودمه[1]، هذا إن كانـــت ضـــمن المنـــاهج أصلا، وإلا فمما يؤسف له أن السيطرة الاستعمارية قد بلغت مـــداها فـــى

(١) سبق وأن أشرت فى مبحث المناهج إلى المآخذ التى تجعل منهج التربيـــة الإســـلامية قاصرًا عن تحقيق أهدافه.

بلدان إسلامية ذات أغلبية مسلمة كاسحة، حيث لا يسمح فيها بتدريس التربية الإسلامية، وذلك مثل جيبوتى وجزر القمر.

ولم تسلم هذه المادة – إذا سُمِحَ بتدريسيها – من عبث الأيدى بها، ففى ظل السيطرة اليهودية على العالم حذفت الموضوعات التى تمسهم مسًا مباشرًا فى القرآن أو فى السيرة حفاظًا على مشاعرهم، وكذلك حُذِف ما يشير إلى الجهاد أو البطولات الإسلامية التاريخية.

فإذا أضفنا إلى ذلك أن درجات هذه المادة لا تضاف إلى المجموع، وأن حصصها تقبع فى آخر اليوم الدراسى، وغالبًا ما يتم استبدالها بحصص أخرى يرى الطلاب أنها أجدى وأنفع لهم... إذا لا حظنا ذلك أدركنا إلى أى مدى نسىء إلى التربية الإسلامية ونعطل رسالتها[١].

---

(١) مما يذكر أنه فى الوقت الذى نحاول فيه نحن أن نهمش مادة الدين ونضعف أثرها فى ذاته وفى مد ظلالها على سائر المواد بدأ الباحثون فى الغرب يدركون أهمية تخلل الدين وتعاليمه فى شتى المناهج، عندما نظروا فوجدوا أن العلوم البحتة والنظريات المجردة التى تخاطب العقل لا يمكنها تحريك الوجدان أو الضمير، بينما يخاطب الدين فطرة الإنسان، ويربط توجهاته بسلوك عملى تطبيقى يظهر على أرض الواقع، وفى هذا يقول أحد علماء التربية المرموقين وهو "جيمس دوس": "إن الدين شىء يؤثر قبل كل شىء فى الشعور والإرادة وفى الوجدان والنزوع". ويبين أن مادة التربية الدينية يجب أن تكون صبغة المواد التعليمية كلها فيقول: "إن من السخرية حقا أن نضع فى الجدول المدرسى مادة اسمها الدين، ثم نغمض أعيننا فى اطمئنان، ونروح فى سبات عميق كأننا قد أدينا مهمتنا. لا ينبغى أن نقنع بأن يكون الدين مادة إلى جانب المواد الأخرى، بل أن يكون روحا فياضة فى قوة وتوثب، يطبع المنهج كله والحياة المدرسية والعمل المدرسى بجميع جوانبه ومجالاته، بحيث تتهيأ الفرص الطبيعية المواتية لتلاميذه حتى يشبوا وهم يقدمون خضوعهم وولاءهم لله من تلقاء أنفسهم وعن طيب خاطر "أ.هـ" . =



سادسًا: علوم أخرى:

دراسة **القانون** طغى عليها القانون الوضعى، وأعطيت زاوية ضيقة للشريعة لا تتجاوز الأحوال الشخصية.

دراسة **الاقتصاد** خضعت للعقلية الأوروبية الربوية، وغابت عنها وجهة النظر الإسلامية.

دراسة **السياسة والإعلام** كالاقتصاد، لا أثر للإسلام فى مناهجها أو أقسامها(١).

إلى جانب ذلك خصصت معاهد أو كليات لتدريس الموسيقى والتمثيل والنحت، وغير ذلك مما يتنافى مع مبادىء الإسلام وتعاليمه.

= وفى أمريكا قررت لجنة السياسات التعليمية وجوب تخلل القيم الخلقية والدينية جميع جوانب المنهج، وإدخالها فى الحياة الكلية للمدرسة كجزء حيوى من أجزاء البرنامج الدراسى كله.

وفى خطوة عملية تطبيقية فى الولايات المتحدة لهذه الآراء نجد جيمس كونانت رئيس جامعة هارفارد ١٩٧٨م- ١٩٨٣م يلج بوابة التربية من عالم الكيمياء مجال تخصصه الدقيق ليترك- منطلقًا من تخصيصه الكيميائى – مشاريع تربوية عملية تبنتها الحكومة الأمريكية... راجع (نظرة فى مناهج التربية الإسلامية بالتعليم العام) د/محمود كامل الناقد –بحث مقدم إلى ندوة أسس التربية الإسلامية، مكة المكرمة سنة ١٤٠٠هـ– سنة ١٩٨٠م، وراجع أيضا (**الجامعة فى مجهر القراءة المعاصرة**) مقال للدكتور مصطفى السيد – مجلة البيان، ص٥٤، العدد ٤٠ – ذو الحجة سنة ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

(١) توفر بعض الباحثين المعاصرين ومنهم الأستاذ الدكتور جمال عبد الهادى، والأستاذ على لبن على تأليف بعض الكتيبات التى تتبع الأخطاء والسقطات فى مناهج التربية والتعليم المصرية، وإصدار عدة أعداد منها، بحيث يخصص كل عدد لمادة واحدة، أو لعدد من المواد تحت مسمى واحد مثل: المواد الاجتماعية، والمواد الفلسفية وغير ذلك! وقد اكتفيت هنا بذكر الخطوط العريضة التى لا تختلف فيها دولة مسلمة عن أخرى تقريبًا، أملا فى أن تعم فائدتها.

ناهيك عن الاختلاط بين الشباب والشابات، وتنافس الفتيات على إبراز مفاتنهن مما يشجع على انتشار الرذيلة، وقتل الحياء في نفوس البنين والبنات على السواء.

وقد ترتب على تلقى المسلمين للعلوم بهذه الطريقة جملة من السلبيات نلخصها فيما يلى:

١ـ الجهل المطبق بتعاليم الإسلام، وإعادة تشكيل العقول المسلمة وفق مبادىء الغرب وقيمه.

٢ـ فقدان المسلم الولاء لدينة وأمته.

٣ـ زعزعة الوحدة بين المسلمين فى مظهر مهم من مظاهرها وهو الفكر.

وثمه كثير من كلمات الباحثين المسلمين وغيرهم ما يؤكد على هذه الحقائق ونختار منها ما يلى:

فى تأثير التعلم وفق المناهج الغربية على معرفة الإنسان بدينه، وتأثره حتمًا بوجهة نظر الغرب يتحدث العلامة أبو الحسن الندوى فيقول: "... فكان غاية ذلك بعد مدة قليلة فوضى فكرية هائلة، واضطراب وتناقض فى الأفكار والآراء، وشك وارتياب فى الدين واستخفاف بفرائضه وواجباته، وثورة على الآداب والأخلاق، وضعف وانحطاط فى الأخلاق والسيرة، وتقليد للأجانب فى القشور والظواهر، وتبذير للأموال، إلى غير ذلك، مما أصبح به هذا الجيل كلا على الآباء وعلى الأمة، وجرثومة الفساد



فى جسمها، ونقطة الضعف فى مركزها، وذلك شىء طبيعى لا يستغرب وجوده، وإنما يستغرب عكسه، والشجرة لا تلام على ثمرتها"(١).

وقد تسلطت على رقاب المسلمين طوائف ممن تعلموا على هذا النسق، فأصبحوا معاول هدم وتخريب داخل البلد المسلم الذى ينتمون إليه، وذاق المسلمون منهم أمرَّ مما كانوا يذوقونه من أعدائهم.

وفى الدلالة على فقدان المسلم الولاء لدينه وأمته بسبب هذا التعليم يقول أبو الفتوح رضوان: "إن المواطن العربى الذى تعلم فى المدرسة يعرف عن روسو أكثر مما يعرف عن ابن خلدون، وعن جيبون وما كولى أكثر من الطبرى وابن الأثير، وعن نابليون بونابرت أكثر من خالد بن الوليد، وعن باستير أكثر من الفخر الرازى. وعن دالتون أكثر من ابن الهيثم، وعن ماجلان أكثر من الإدريسى، فمن أين يأتى شعوره بدينه وولاؤه له، وإيمانه به"(٢).

وفى الدلالة على أثر التعليم المعاصر فى زعزعة الوحدة الفكرية بين المسلمين، يقول المستشرق هاملتون جب: "إن أولى النتائج التى نجمت عن الغزو الفكرى أنه زعزع فكرة أن العالم الإسلامى وحدة ثقافية واحدة، وتسيطر عليه تقاليد واحدة. حقًا لقد بقيت رابطة العطف والماضى

---

(١) نحو التربية الإسلامية الحرة فى الحكومات والبلاد الإسلامية ، ص٩، ١٠، بتصرف يسير .

(٢) فلسفة الجماعة وسلوك الأفراد – مقال بمجلة مرآة العلوم الاجتماعية، ص١٥٧ – العدد الخاص بالتربية العربية – يونيه سنة ١٩٥٨م .

المشترك والعقيدة المشتركة، ولكن امتزاج الأفكار المأخوذة من الغرب بدرجات متفاوتة كان قد بدأ ينزع إلى كل مملكة من الممالك الإسلامية"[1].

والخلاصة أن التعليم المعاصر أفسد البناء الذاتى والاجتماعى للمسلمين، فعميت أبصارهم عن محاسن دينهم، وتخيلوا مركب الإنقاذ بيد الغرب، فألقوا إليه بثقلهم، وولوا وجوههم شطره، فضاعت كرامتهم، وسقطت هيبتهم، وتفرق جمعهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

---

(١) وحدة الفكر الإسلامى، ص٢٤، أنور الجندى – طبع دار الاعتصام – ضمن سلسلة فى دائرة الضوء – بدون تاريخ.



٢. تقييم الوضع القائم فى التعليم من الوجهة الموضوعية

يقتضينا الأمر – قبل أن نبحث فى مشروعية الوضع القائم فى التعليم من عدمها – أن نتحدث عن مدى صحة هذا الوضع من خطئه ومنفعته من مضرته، وهو ما نسميه بالوجهة الموضوعية، وذلك حتى ندرك أن نداء الدين هو عينه نداء المصلحة.

وحتى يتم تقييم الوضع القائم فى التعليم على أسس موضوعية نطرح التساؤلات الآتية، ثم نجيب عنها :

١ــ هل هناك علاقة بين التعليم ووجهة أى مجتمع أم لا ؟

٢ــ هل يمكن لمجتمع أن يتبنى منهجًا تربويًا لمجتمع آخر ؟

٣ــ ما مدى التوافق بين المنهج الإسلامى فى التعليم والمناهج الغربية؟

٤ــ لماذا يحرص الغربيون على أن تتبنى المجتمعات الإسلامية مناهجهم فى التعليم.

وفيما يلى الإجابة عن هذه الأسئلة، واحدًا بعد آخر :

١ــ هل هناك علاقة بين التعليم ووجهة أى مجتمع أم لا ؟

يُجْمع علماء التربية على أن ثمة ترابطًا وثيقًا بين وجهة المجتمع أيًا كانت، وبين نوع التعليم الذى يسود فى هذا المجتمع.

وهذه بعض أقوالهم الدالة على ذلك.

أ- يقول فيرنون مالينسون: "إن التعليم القومى عبارة عن ميثاق فكرى تتجلى فيه غاية المجتمع المشتركة ومساعيه المشتركة، ويمثل هذا الميثاق العاطفة القومية، ويكون مزيجًا من خصائص لا بد منها لتحقيق مطامع هذا المجتمع وأهدافه"(١).

ب - ويقول جارد فورد: "إن أفضل محكٍّ لنجاح التربية وإخفاقها هو تقاليد المجتمع والقيم السائدة، فهى الأسس التى تقوم عليها خصائصها وبقاؤها. ومما لابد منه ألا تكون بينها وبين التربية فجوة فكرية أو عدم انسجام، فعلينا أن نلاحظ دائمًا أن كل محاولة للتقدم تقوم على القيم المقررة التى يؤمن بها هذا الشعب فيجب أن تقوم عليها جميع التجارب التى يقوم بها رجال التربية "(٢).

جـ - ويقول البروفيسور كلارك: "مهما قيل فى تفسير التربية، فمما لا محيص عنه أنها سعى للاحتفاظ بنظرية سبق الإيمان بها، وعليها تقوم حياة الأمة والجهاد فى سبيل تخليدها ونقلها إلى الأجيال القادمة " (٣).

د - ويقول العلامة أبو الحسن الندوى: "إن روح النظام التعليمى وضميره إنما هو ظلٌ لعقائد واضعيه ونفسيتهم وغايتهم من العلم ودراسة الكون، ووجهة النظر إلى الحياة، ومظهر لأخلاقهم، وذلك ما يمنح نظام التعليم شخصية مستقلة وروحًا وضميرًا بذاتها "(٤).

(١) نحو التربية الإسلامية الحرة ، فى الحكومات والبلاد الإسلامية، ص١٣٨، ١٣٩.

(٢) نفس المصدر والصفحات .

(٣) نفس المصدر، ص٧٦.

(٤) نفس المصدر، ص٢٣ .



ويمكن لأى إنسان أن يلاحظ ذلك من خلال النظر فى المجتمعات السائدة، ونوعية التعليم التى يتلقاها أبناء هذا المجتمع.

فمثلا إذا كان المجتمع شيوعيًا يرى أن الدين خرافة، وأنه أفيون الشعوب، فإن التعليم السائد لن يقيم وزنًا للعقائد، بل يؤكد على الإلحاد وإنكار الأديان.

وإذا كان المجتمع علمانيًا يرى فصل الدين عن الدولة فإن التعليم السائد يطارد الدين وشعائره داخل المؤسسة التعليمية، ويكتفى به –إذا كان ولابدَّ – كأفكار نظرية يتم تنفيذها فى أضيق الحدود.

والأمر يختلف إذا كانت الدولة ذات اتجاه دينى، وتحرص على تبنى المجتمع لمبادىء الدين(١).

ويقاس على هذا الدول الرأسمالية والاشتراكية وغيرها.

---

(١) من أبرز الكيانات المعاصرة التى قامت على أساس دينى، وطُوِّعت كل الأسباب – بما فيها التعليم – لتحقيق الأهداف المنشودة الكيان الإسرائيلى فى أرض فلسطين المحتلة، فلقد اعتُمدت اللغة العبرية – لغة اليهود المقدسة – لغة للتعليم فى جميع المراحل بعد أن كانت لغة ميتة مندثرة، ويفتخرون على لسان ويزمان – الذى كان فى يوم ما رئيسًا للجمعية الصهيونية – بأن فلسطين الحديثة (ويعنى بها فلسطين اليهودية) تتكلم اليوم بأجمعها بلغة الأنبياء .

فى الوقت ذاته تشتد عناية اليهود فى جميع المراحل بالدراسة الدينية، والتعليم الدينى عندهم هو أساس الصهيونية وتقدمها.

راجع (نحو التربية الإسلامية الحرة) للشيخ أبى الحسن الندوى، ص٧٦.

وحتى تتفق غاية التربية مع ما يستهدفه منها كل مجتمع من هذه المجتمعات قال خبراء التربية عندهم: إن غاية التربية هى "إعداد المواطن الصالح".

وتختلف نظرة كل مجتمع إلى هذا المواطن الصالح بحسب نظرة المجتمع إلى الحياة.

فالمواطن الصالح فى نظر بعضهم هو من يتعصب لجنسه، ويتعامل مع الآخرين على أنهم دونه فى مستوى الإنسانية، ولا يستأهلون إلا أن يكونوا خدامًا له.

والمواطن الصالح فى نظر آخرين هو الشخص الملحد الذى يكفر بالأديان كلها، ويستعيض عن ذلك بالإيمان بحزبه وما يدعو إليه.

والمواطن الصالح فى نظر البعض الآخر هو الإنسان الذى يعمل كالآلة ليلا ونهارًا، وبقدر ما ينتج يكون صلاحه.

وآخرون يرون ظلم الآخرين وقتلهم واغتصاب نسائهم وأموالهم، وإذلال الأفراد والجماعات هو عين الصواب، وبقدر ما يسهم الشخص فى تحقيق ما تصبو إليه دولته من آمال يكون مواطنًا صالحًا، وإن كان تحقيق هذه الآمال فوق جماجم الآخرين.

ومن الطبيعى أن يُسْهِمَ التعليم فى تحقيق أهدافه إذا توافق ما يعتقده الناس مع ما يتعلمونه، ويسلم الناس – عندئذ – من التناقض والصراع الفكرى والنفسى، بعكس ما لو فُرِضَ على الإنسان تعلُّمُ شىء لا يؤمن به ولا يعتقده – كما هو الحال فى معظم الأقطار الإسلامية – فإن الإنسان يقع

فريسة للصراع والتمزق بين هذه المتناقضات، إلا أن يتغلب عليها، ويتخلص منها، كما يتخلص الجسم من عضو غريب غرس فيه.

٢ــ هل يمكن لمجتمع أن يتبنى منهجًا تعليميًا لمجتمع آخر؟

فى ظل ما قررناه فى النقطة السابقة من أن ثمة ترابطاً بين وجهة أى مجتمع ونوع التعليم الذى يسود فيه، يرى علماء التربية أن مناهج التعليم تخصُّ كل مجتمع، وتعبِّر عن آماله وطموحاته، وتتناغم مع أفكاره ومعتقداته، وعلى ذلك فما يصلح فى مكان لا يصلح فى غيره.

جاء فى كتاب (دراسات فى أصول التربية) (١) ما نصه: "لا شك أن النظم التعليمية فى بلادها هى من نبت أرضها وتأثير مناخها، ولا تجود إلا فى تربتها الأصلية وبيئتها المحلية. فالمجتمعات تشكل نظمها بالطريقة التى تنسجم مع خلقها القومى، وبما يشبع حاجاتها كما تراها وتحسُّ بها، وأى نظام يُقتلع من أرضه ليُغرس فى أرض غريبة، أو يستنسخ على مثاله، أو يستورد نظيره فإنه يتحول فى المنبت الجديد إلى مسخ غريب الوجه واليد واللسان – على حدِّ تعبير الشاعر العربى القديم – لأن النظام لا يختزل فى شكل بنائى مادى. إنه قيم وحياة وحضارة، وهذه أشياء يلدها المجتمع، ولا يأخذها جاهزة من أنابيب صناعية تقوم بالإخصاب المؤدى للحمل والولادة" أ.هـ.

ويقول العلامة الأستاذ أبو الحسن الندوى: "اتفق أعظم علماء التربية فى العهد الحاضر على أن عملية التربية فى أمة وبلاد ليست بضاعة

---

(١) المرجع المذكور، ص١٧٢، د/ محمود قمبر، وآخرون .

تُصدَّر إلى الخارج، أو تستورد إلى الداخل، كالمصنوعات أو المواد الخام، أو الحاجيات أو المخترعات التى لا تختص ببلد دون بلد، إنما هو لباس يُفَصَّلُ على قامة هذه الشعوب وملامحها القومية وتقاليدها الموروثة وآدابها المفضلة وأهدافها التى تعيش لها أو تموت فى سبيلها، وأن التربية ليست إلا وسيلة راقية مهذبة لدعم العقيدة التى يؤمن بها شعب أو بلد، وتغذيتها بالإقناع الفكرى القائم على الثقة والاعتزاز، وتسليحها بالدلائل العلمية إذا احتيج إليها، ووسيلة كريمة لتخليد هذه العقيدة، ونقلها سليمة إلى الأجيال القادمة[1]. أ. هـ.

وقد وعت الشعوب الناهضة هذه الحقيقة، وأعلنت عن تمكنها بمنهجها التربوى النابع من شخصيتها، واستعدادها للدفاع عنه بكل ثمن، حتى ولو كان الحرب.

وقد مرَّ بنا فيما سبق أن تقريرًا أمريكيًا رسميًا اعتبر التربية أهم المجالات التى يجب العناية بها، وأنها يجب أن تسبق التصنيع والدفاع والصحة، وأن أية أمة تحاول أن تفرض على أمريكا مناهج غير أمريكية فإنه يجب إعلان الحرب فورًا.

ونستخلص من هذا أن إخضاع المجتمعات الإسلامية لنظام تعليمى نبت فى غير أرضها يُعَدُّ من الوجهة التربوية خطأ كبيرًا، وأن الضرر الناتج عنه يفوق ما يتوقع منه من خير.

وسنوضح ذلك بصورة أكثر تفصيلا فى النقطة التالية.

---

(١) الأمة الإسلامية. وحدتها ووسطيتها وآفاق المستقبل، ص١٧، أبو الحسن الندوى .



٣ــ مدى توافق المناهج الغربية مع منهج الإسلام:

بعد أن عرفنا أن أى منهج إنما هو ظل لنفسية واضعيه وأهــدافهم، نعود فنطرح المسألة بصورة أكثر تحديدًا فنتعرف على مدى التوافــق أو الاختلاف بين المناهج التعليمية فى الغرب والمنهج التعليمى فى الإسلام.

ويقتضينا الأمر أن نتعرف أولا على ظروف نشأة الحضارة الغربية الحديثة، ليكون ذلك بمثابة مقدمة بين يدى كلامنا حول هذا الموضوع.

إن المتتبع للظروف التى ولدت فيها الحضارة الغربية المعاصرة يجد أنها كانت أثرًا من آثار النزاع المسلح بين رجال الدين والطبقات المثقفــة، وذلك أن الحكم الذى كان سائدًا فى الغرب قبيل عصر النهضة كان حكمًــا دينيًا، تتحكم فيه طبقة رجال الدين، وهم الذين وقفوا سدًا منيعًا أمام العلــم وحرية الشعوب، وأذاقوا الناس الويلات والإهانات.

وعندئذ لم تجد الطبقة المثقفة فى أوروبا حيلة للانطلاق سوى القضاء على هذه الطبقة، وإلغاء كل أشكال الحكم التى تتبناها.

وهكذا نشأت الحضارة الغربية كرد فعل ضد رجال الكنيسة وبالتالى الدين، ودفعهم ذلك إلى تبنى سياسة فصل الدين عن الــد ولــة، وتنــادى مفكروها بالإلحاد والتحلل والمادية وجحود الآخرة، وعلا نجــم الملحــدين والمنحلين من المفكرين، واعتبروا رواد هذه الحضارة وصانعيها، وذلــك أمثال ماركس وداروين وفرويد وهكسلى، وغيرهم وغيرهم[1].

(١) انظر (معالم الثقافة الإسلامية)، ص٩٧، ٩٨. د/ عبــد الكــريم عثمــان – الطبعــة الخامسة عشرة سنة ١٩٩١م – مؤسسة الرسالة –بيروت.

وننقل هنا بعضًا من عبارات الغربيين الذين ولدوا في حضن هذه الحضارة، وكيف كانت نظرتهم إلى الأمور.

يقول لويد جورج : " "لو جاء المسيح في لندن لم نتركه إلا في رقابة الشرطة، فإنه ربما يقف في الشارع واعظًا ويذكر الله ويدعو إليه، ويقطع على الناس أشغالهم ويضيع وقتهم الثمين، أو ينتقد الحكومة البريطانية البريئة الوادعة، أو المدنية الأوروبية المقدسة"[(١)].

ويقول جون جونثر : الصحفي الأمريكي المشهور: "إن الإنجليز إنما يعبدون بنك إنجلترا ستة أيام في الأسبوع، ويتجهون في اليوم السابع إلى الكنيسة"[(٢)].

وقد أشار بعضهم أيضًا إلى أن الأوروبيين قد انصرفوا عن الذهاب إلى الكنيسة أيضًا في يوم الأحد، فاضطرت بعض الكنائس أن تدعو الناس إلى الحضور إليها بسياراتهم، ولا يبرحوها خلال استماعهم الميكروفونات التي تنقل إليهم المواعظ، والتي لن تستغرق أكثر من خمس عشرة دقيقة[(٣)].

وفي ظل هذا التخلص من الدين سيطرت الحياة المادية على الشارع الغربي، وغابت كثير من القيم والأخلاقيات في تعاملات الأفراد

---

(١) الحضارة الغربية الوافدة وأثرها في الجيل المثقف، ص٣٣، أبو الحسن الندوي – طبعة أولى، ١٩٨٥م – دار الصحوة – القاهرة.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص٢٠٣، أبو الحسن الندوي – طبعة عاشرة سنة ١٩٧٧ – دار الأنصار بالقاهرة .

(٣) انظر (التعليم مع الحضارة). د/ سيد دسوقي – مقال بمجلة رسالة الخليج العربي – العدد ١٥ – السنة الخامسة، سنة ١٤٠٥هـ.



والمجتمعات، فانتشر الانتحار، والشذوذ الجنسى، وتمزقت الأسر، وكثر أبناء الزنا، وشاعت الأمراض المرتبطة بشيوع الفواحش كالإيدز وغيره، ولم تفلح المخترعات الحديثة، والصعود إلى القمر فى تحقيق السعادة لهذه المجتمعات، وصار الانحلال والتفسخ الأخلاقى وصمة عار فى جبين هذه الحضارة.

نُقِلَ عن رئيس بلدية (كليفلد) بأمريكا قوله: "إذا لم نكن واعين فسيذكرنا التاريخ على أساس أننا الجيل الذى رفع إنسانًا إلى القمر، بينما هو غائص إلى ركبتيه فى الأوحال والقاذورات"(١).

ويقول لابريولا أحد فلاسفة إيطاليا وعلمائها: "إننا معاشر البيض من أهل الغرب قد اعتمدنا على ذكائنا، وما أوجدناه من آلات، فأصبحنا بذلك أهل المغامرات والفتح والغنى والعلم، وزدنا على ذلك أن غدونا أرباب الجرائم، وفينا ظاهرات ثلاث، هن حثالة مدنيتنا ورمزها فى آن واحد: المختلس، والقاتل، والمومس"(٢).

وقد بدأت الأصوات تتعالى فى الغرب معترفة بفشل الحضارة الغربية فى تحقيق السعادة لأهلها، وأنها فى طور الذبول والاضمحلال، رغم التقدم الصناعى، والتفوق الاقتصادى، وما تحلل الأسرة، وانتشار

---

(١) إنسانية الإنسان، ص٢٢٩، دينيه دوبو – تعريب. نبيل صبحى – مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٢) نقلا عن "الحركة الفكرية ضد الإسلام.. أهدافها ومقاومتها"، ص٩٥ – دكتور/ عبد الفتاح بركات دويدار – طبعة ثانية، سنة ١٩٨٠م، بدون اسم مطبعة .

الأمراض النفسية والإحساس بالضياع بين قطاع كبير من شباب وفتيات هذه المجتمعات، وغير ذلك، ليس هذا كله إلا مظاهر لهذا الفشل.

يقول أرنولد توينبى فى كتابه (الحضارة والغرب) [1]: "إن الحضارة الغربية تمرُّ الآن فى طور التدهور والانحلال الذى مرَّت به الحضارة الرومانية من قبل. من أجل هذا لم تعد فنون الصناعة أو الاقتصاد أو غيرها من المعارف كافية لتوفير الاستقرار والسعادة للمجتمع الإنسانى، ذلك أن الروابط الروحية هى العمد الحقيقية التى لا يمكن أن يُقام بدونها صرح المجتمع ويتماسك بناؤه، أ.هـ.

ويؤيد ذلك ما جاء فى القرآن الكريم من وعيد الله للكفار بجلب الشقاء والتعاسة لهم فى حياتهم الدنيوية، مع ما أُعِدَّ لهم فى الآخرة من عذاب النار.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [2]. والوصف للأمر بالفرط على عدم الاستقرار، وإن بدا فى الظاهر غير ذلك.

وقال: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [3].وغير ذلك من الآيات كثير.

---

(١) وحدة الفكر الإسلامى مقدمة للوحدة الإسلامية الكبرى، ص٢٩، أنور الجندى .

(٢) الكهف: ٢٨.

(٣) طه: ١٢٤ .



وفى ضوء ما تقدم ذكره نستخلص النتائج التالية:

١ــ أن الحضارة الغربية الحديثة نشأت كردً فعل لسيطرة الكنيسة ورجالها.

٢ــ أنها نادت بفصل الدين عن الدولة، وتبنى مفكروها الدعوة إلى الإلحاد والإباحية.

٣ــ أن عامة ما توجه إليه هذه الحضارة اهتمامها يتعلق بالجانب المادى فقط، وأنها لا تقييم وزنًا لله، ولا ترى نفسها فى حاجة إليه.

٤ــ أن اعوجاج هذه الحضارة فى مسيرتها قد أبرز فيها كثيرًا من السلبيات، وأن المراقبين يتنبأون بسقوط وشيك لها، دون النظر إلى تفوقها العلمى، أو تقدمها الاقتصادى.

ولا يُنتَظر من تعليم ينبعث من هذه الأرضية إلا أن يكون متأثرًا بالأفكار السائدة، ومؤصلا للاتجاهات القائمة.

ومن ثم يقول المفكر الإسلامى محمد إقبال: "إن نظام التعليم الغربى مؤامرة على الدين والخُلُقِ والمروءة"(١).

فإذا رجعنا إلى مناقشة القضية التى طرحناها عنوانًا لهذا المبحث، وهى: **"مدى التوافق بين المنهج الإسلامى فى التعليم والمنهج الغربى"** رأينا فى ظل ما ذكرناه أن البون بعيد، والفرق شاسع، والتلاقى بين **المنهجين يقع فى دائرة المستحيل.**

---

(١) روائع إقبال، ص٧٧، أبو الحسن الندوى .

ويرجع السبب فى ذلك إلى أمر جوهرى، يتلخص فى أن الإسلام لم تقم بينه وبين العلم خصومة على النحو الذى حدث فى الغرب، بل يعلى الإسلام من شأن العلم، ويشجع على التفنن والإبداع فى كل مجالاته، ويُعدُّ ذلك مطلبًا دينيًا ووسيلة يُستعان بها على طاعة الله.

وبالتأمل فى منهج الإسلام التربوى التعليمى نجد أنه يتميز بعدة أشياء نلخصها فيما يلى:

١ــ أنه منهج ربانى، لا تمتد إليه يد الإنسان بالعبث أو التحريف.

٢ــ أنه منهج متكامل، يغطى النفس الإنسانية من جميع جوانبها المادية والروحية، الفردية والاجتماعية، ويرعى صالح الإنسان فى دنياه وأخراه.

٣ــ أنه منهج عالمى صالح لكل زمان ومكان، وهدفه بناء الإنسان الصالح دون نظر إلى جنسه أو لغته أو قوميته.

٤ــ أنه منهج يتفق مع الفطرة التى فطر الله الناس عليها، ولا يصطدم مع ما فيه صالح الإنسانية فى أى زمان أو مكان[1].

فإن قيل هذه خصائص الإسلام العامة؟ أجيب بأن خصائص الإسلام هى نفسها خصائصه فى منهجه التربوى، لأن التربية والتعليم جزء لا يتجزأ من الإسلام، وهو يختلف كلا وجزءًا عن الأفكار والمبادئ السائدة فى الغرب.

(١) انظر (أصول التربية الإسلامية وأساليبها)، ص١١٣، ١١٤، عبد الرحمن النحلاوى – طبعة أولى سنة ١٩٧٩م – دار الفكر – دمشق .



وعليه فإن الإلتقاء بين المنهجين يقع فى دائـرة المـستحيل، وهـو ما اعترف به بعض الغربيين المطلعين على الثقافة الإسلامية.

يقول بياrددورج فى كتابـه: "التربيـة الإسـلامية فـى العـصور المتوسطة": "إن التربية الإسلامية تهدف إلى نشدان الحقيقة والخير لذاتهما. وعندما ندرس سير علماء المسلمين الذين انقطعوا للعلم نعجب للتـصوف العلمى الذى كان يتجلى فى العالم الإسلامى، فلا غرض مادى، ولا هـوى سياسى، ولا سعى لشهرة زائلة، بل وقف العقل والـنفس للوصـول إلـى الحقائق والـسعى إليهـا. وقـد عنيـت التربيـة الإسـلامية بـالأخلاق والفضائل....فلا غرابة أن يمتاز الإسلام بضروب من التربية تختلف فـى أهدافها ووسائلها عن ألوان التربية الأخرى التى سادت حـضارات شـتى واعتمدت على دعائم مغايرة لتعاليم الإسلام"[1]. أ. هـ.

٤ـ لماذا يحرص الغربيون على أن تتبنى المجتمعـات الإسـلامية مناهجهم فى التعليم؟

يؤكد القرآن الكريم فى كثير من الآيات على عمـق الكراهيـة فـى نفوس الكفار نحو الإسلام والمسلمين، وأنهم لذلك يعملون جاهـدين علـى إخراج المسلمين من دينهم، أو على الأقل تهميش دوره فى حياتهم.

---

(١) نقلا عن (أخطاء المنهج الغربى الوافد)، ص٤١٧، ٤١٨ – أنور الجنـدى – العـدد السادس من الموسوعة الإسلامية العربية– طبعة أولى عام ١٩٧٤م –دار الكتاب اللبنـانى –بيروت .

يقول الله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا .... إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١).

وقال عز من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ (٢).

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ولا يُخْفى أعداء الإسلام كراهيتهم له، وحشدهم كل الإمكانات لمحاربته.

يقول المستشرق ولفرد كانتول سميث: "إن الغرب يوجّه كل أسلحته الحربية والعلمية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية لحرب الإسلام"(٣).

وقد حاول أعداء الإسلام الوصول إلى أهدافهم من خلال الأسلوب العسكري، فوجدوا أنهم يخسرون الكثير من الأموال والأرواح، وأن وجودهم كمحتلين للبلاد الإسلامية يستثير حمية المسلمين لمقاومتهم، إن لم يكن بدافع الدين، فبدافع الوطنية والدفاع عن الشرف.

---

(١) البقرة: ١٠٩.

(٢) آل عمران: ١١٨.

(٣) الله أو الدمار، ص٦٥ – طبعة ثالثة سنة ١٩٧٦م – المختار الإسلامي – القاهرة .



وفكر هؤلاء فى تطوير أسلوبهم، بحيث يصبح المسلم عـدوًا لدينـه بدافع ذاتى منه، ورأوا فى الغزو الفكرى والثقـافى ضـالتهم المنـشودة، وهدفهم المقصود، ولذا يبذلون جهودهم فى إقناع المسلمين لتبنى منـاهجهم وأفكارهم، وساعدهم على تحقيق النجاح فى هذا المجال تلاميـذهم الـذين تربوا فى مدارسهم، ومن استأنسوا إليه من ضعاف الإيمان، عشاق الشهرة والزعامة.

وفى إطار هذا المخطط الجديد عمل المستعمر على محورين:

١ـ إغراق العالم الإسلامى بالعديد من المدارس الأجنبية التى تبـث أفكارهم ومعتقداتهم وسط المسلمين.

٢ـ العبث بمناهج التعليم العام، بتفريغها من المحتـوى الإسـلامى، والعمل على تأصيل الاتجاه العلمانى فيها.

٣ـ العبث بمناهج التعليم العام، بتفريغها من المحتـوى الإسـلامى، والعمل على تأصيل الاتجاه العلمانى فيها.

وعلى سبيل التمثيل لعنايتهم بإنشاء المـدارس الأجنبيـة فـى بـلاد المسلمين نذكر أنه تأسست فى سوريا (٣٣) مدرسة أجنبية فى أقل من عدد تلك السنين. وفى لبنان (٢٠٠) مدرسة أمريكية فرنسية انجليزية روسـية ألمانية إيطالية، وفى مصر ما بين عـام (١٨٤٤م- ١٩٤٣م) جـاءت٣٣ إرسالية وأنشأت فيها(٣٥) مدرسة فرنسية، (٢٤) مدرسة إنجليزية[١].

---

(١) نحو نظرية للتربية الإسلامية، ص٣٦ بتصريف – د/على جريشة – طبعة أولى سنة ١٩٨٦م – مكتبة وهبة – القاهرة .

هذا إلى جانب الجامعة الأمريكية التى لا يكاد يخلو منها بلد إسلامى.

وتصل نسبة المسلمين الدارسين فى هذه المدارس إلى ما يزيد على ٨٥%.

وتهتم كل مدرسة من هذه المدارس بنشر ثقافة ولغة البلد الذى تنتمى إليه، وتبذل جهودًا كبيرة فى العناية الفائقة بمظهر هذه المدارس، والارتقاء الفكرى والسلوكى بهيئة التدريس فيها، والسعى الحثيث لأن يكون خريجوها فى أرقى المناصب وأعلى المراتب، وبذا تصبح محط أنظار المثقفين وأصحاب الطبقات العليا فى المجتمع، فيدفعون إليها بفلذات أكبادهم، ليتم تشكيلهم وإعادة ترتيبهم من جديد.

وقد أفصح أعداء الإسلام عن غايتهم من إغراق العالم الإسلامى بهذه المدارس الأجنبية، وأن الغاية الأساسية منها تبشيرية بالدرجة الأولى.

يقول الكاتب الفرنسى إيتين لامى: "إن مقاومة الإسلام بالقوة تزيده انتشارًا، أما الوسيلة الفعالة لهدمه وتقويض دعائمه فهى تربية دينية فى المدارس التبشيرية أو المسيحية، ونفث جراثيم الإلحاد فى صدورهم منذ نشأتهم من حيث لا يشعرون، فإن لم يتنصروا فقد أصبحوا لا مسلمين ولا مسيحيين"(١).

---

(١) التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة، ص٨٨ أنور الجندى – المجلد الخامس من سلسلة مقدمات العلوم والمناهج – طبع دار الأنصار بالقاهرة – سنة ١٩٨٣م .



وتقول المبشرة أنا مليجان: "ليس ثمة طريق إلى حصن[1] الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة، فإن المدرسة أقوى قوة لجعل الناشئين تحت تأثير الغرب والمسيحية، وهذا التأثير سيستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يومًا ما قادة أوطانهم"[2].

وقد نجحت هذه المدارس فى تحقيق هدفها من إنشائها، فأفسدت عقائد الأولاد الدارسين فيها، وغرست فى نفوسهم كراهية الإسلام ونبى الإسلام، وجعلت منهم مسخًا مشوهًا، وإن تسمّوا بأسماء إسلامية[3].

---

(١) هكذا بالأصل (حصن) ولعلها بالراء (حصر) .

(٢) المرجع السابق، ص٨٥ .

(٣) فى أغلب الأحيان تتخفى أهداف هذه المدارس وراء أردية وأقنعة تخفى حقيقتها، وفى أحيان أخرى تكشف عن حقيقتها حين لا يكون هناك بد من هذا. والموقف الذى أسوقه الآن يعبّر عن هذه الحقيقة.

"حدث أن ثار طلاب مسلمون فى إحدى كليات الإرساليات الكبرى لإجبارهم على الصلاة المسيحية يوميًا، فأصدرت هذه الكلية بيانًا قالت فيه: إن هذه الكلية مسيحية، أسست بأموال شعب مسيحى، هم اشتروا الأرض، وهم أقاموا الأبنية، ولا يمكن للمؤسسة أن تستمر إذا لم يسندها هؤلاء، وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليمًا يكون الإنجيل من مواده، فيعرض منافع الحقيقة المسيحية على كل تلميذ. وكل طالب يدخل مؤسستنا يجب أن يعرف سابقًا ماذا يُطْلَبُ منه " .

ذكر هذه الواقعة الأستاذ أنور الجندى فى رسالة له بعنوان (الخنجر المسموم الذى طعن به المسلمون)، ص٢٤، ٢٥ – طبع دار الاعتصام – بدون تاريخ .

يقول زويمر فى مؤتمر للتنصير عقد سنة ١٩٣٣م: "لقد قضينا على جميع برامج التعليم فى الممالك الإسلامية، ونشرنا فى تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية، تلك التى تهيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية، ولذلك جاء النشء الإسلامى طبقًا لما أراده له الاستعمار المسيحى، لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، ويسعى للحصول على الشهوات بأى أسلوب، حتى أصبحت الشهوات هدفه فى الحياة، فهو إن تعلم فللحصول على الشهوات، وإذا جمع المال فللحصول على الشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففى سبيل المال يجود بكل شيء" (١).

وإلى جانب ذلك نجحت تلك المدارس فى أن تفسد ولاء الدارسين لبلادهم، وجعلت قبلتهم التى يتوجهون إليها، ويحرصون على الارتباط بها تلك الدولة التى تعلموا ثقافتها، ودرسوا لغتها.

يقول جبران خليل جبران: "الشاب الذى يتناول لقمة العلم من مدرسة أمريكية قد تحول بالطبع إلى معتمد أمريكى، والشاب الذى تجرع رشفة من العلم من مدرسة يسوعية صار سفيرًا فرنسيًا، والشاب الذى لبس قميصًا من نسيج مدرسة روسية أصبح ممثلا لروسيا، إلى آخر ما هنالك من المدارس، وما تخرجه كل عام من الممثلين والمعتمدين والسفراء"(٢).

---

(١) الخنجر المسموم الذى طعن به المسلمون، ص٢٧، ٣٤- أنور الجندى – طبع دار الاعتصام – بدون تاريخ .

(٢) التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة، ص٨٧، أنور الجندى .



أما التعليم العام – والذى تنضوى تحت رايته أغلبية الناس – فإنه لم يسلم كذلك من عبثهم، بل عملوا على تفريغه مـن المحتـوى الإسـلامى، وتواصوا فيما بينهم على تأصيل الاتجاه العلمانى فيه.

يقول المبشر تكلى: "يجب أن نشجع إنشاء المدارس، وأن نشجع على الأخص التعليم الغربى، إن كثيرين من المسلمين قد زُعْزِع اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الإنجليزية. إن الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتـاب شرقى مقدس أمرًا صعبًا جدًا"(١).

ويقول زويمر زعيم المبشرين: "مـا دام المـسلمون ينفـرون مـن المدارس المسيحية فلا بد أن ننشىء لهـم المـدارس العلمانيـة، ونـسهل التحاقهم بها. هذه المدارس التى تساعدنا علـى القـضاء علـى الـروح الإسلامية عند الطلاب"(٢).

وفى المقابل عملوا على تخريب التعليم الدينى، وطـاردوه بوسـائل شتى، منها الإساءة إلى سمعة أساتذته وطلابه بحملة إعلانية منظمة شارك فيها المقال والكاريكاتير والتمثيلية والمسرحية، وجعلوا خريجـى المعاهـد والمدارس الدينية فى درجة دنيا عن نظائرهم فى التعليم العام، واسـتولوا على أوقاف الأزهر وخلافه من المدارس الدينية، وهمَّشوا دورها فى الحياة

---

(١) التبشير والاستعمار فى البلاد العربية، ص٨٨، د/عمر فروخ، د/مـصطفى خالـد – طبعة ١٩٩٦م – المكتبة العصرية، بيروت – بدون تاريخ .

(٢) الغارة على العالم الإسلامى، صـ٨٢ – ترجمة محب الدين الخطيب، ومسعد اليافى.

العامة، مما جعل المقبلين على هذا النوع من التعليم أصحاب الدرجات الضعيفة وغيرهم ممن لم تتح لهم فرصة الدراسة في غيرها.

وكما كان للمدارس الأجنبية تأثيرها السلبى فى حياة المسلمين، كان للمدارس الحكومية العلمانية تأثيرها السلبى كذلك على حياة المسلمين، فنشأت أجيال ضعيفة الصلة بدينها وتاريخها.

يقول المستشرق هاملتون جب: "لقد فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية، وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئًا فشيئًا حتى انحصرت فى طقوس محددة. وقد تم معظم هذا التطور تدريجيًا عن غير وعى وانتباه، وقد مضى هذا التطور الآن إلى مدى بعيد، ولم يعد من الممكن الرجوع فيه، لكن نجاح هذا التطور يتوقف إلى حدّ بعيد على القادة والزعماء فى العالم الإسلامى وعلى الشباب منهم خاصة. كل ذلك كان نتيجة النشاط التعليمى والثقافى العلمانى" (١).

وكل هذا يفسر السر فى حرص الغربيين على أن نتبنى نحن المسلمين مناهجهم فى التعليم.

فلقد تحقق لهم من خلاله ما أرادوا، وتحوَّل المسلمون بسببه إلى أداة لتخريب الإسلام، وتمزيق بنيانه.

يقول المفكر الإسلامى محمد إقبال مشيرًا إلى هذه النتائج: "إن نظام التعليم الجديد ومؤسساته انتزعت من الشباب النزعة الدينية حتى أصبحوا فى خبر كان. إنهم هاموا بالغرب وجهلوا قيمتهم. يريدون أن يتصدق

(١) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر (٢٠٤/٢) محمد حسين .



عليهم الغرب بكسرة خبز أو حفنة شعير. إنهم باعوا نفوسهم الكريمة من أجل لقمة حقيرة، فأصبحت الصقور التى تحلق فى السماء عصافير صغيرة لا شأن لها بالأجواء الفسيحة، والمرامى البعيدة [1].

"إن الإفرنج قد قتلوه من غير حرب وضرب[2].

"إن محطم الأصنام وسليل إبراهيم قد أصبح "آزر" ينحت الأصنام، إنه يشترى من الإفرنج أصنامهم الجديدة"[3].

ويقول حسين أكبر الإله أبادى فى عبارة ساخرة:

"يا لبلادة فرعون الذى لم يصل تفكيره إلى تأسيس الكليات، وقد كان ذلك أسهل طريق لقتل الأولاد، ولو فعل ذلك لم يلحقه العار وسوء الأحدوثة فى التاريخ"[4].

وبواسطة هذه الأجيال التى تربت على موائد الغرب وثقافاته رأينا من يتهجم على مبادئ الإسلام وقيمه كالحجاب والميراث والقوامة والطلاق، وينادى بالمساواة الكاملة بين الرجال والنساء، ويستبيح التعامل بالربا كضرورة اقتصادية، والترويج للخمر والميسر كضرورة لتنشيط

---

(١) روائع إقبال، ص١١٨، أبو الحسن الندوى.

(٢) نفس المرجع، ص٥٦.

(٣) نفس المرجع، ص١٨٩ .

(٤) نحو التربية الإسلامية الحرة فى الحكومات والبلاد الإسلامية، ص٣٠، أبو الحسن الندوى .

السياحة، ويدعو إلى وحدة الأديان، فلا فرق بين مسلم ويهودى ومسيحى...إلخ.

والخلاصة إنه إذا كان قد وضح لنا أن ثمة ترابطًا بين وجهة المجتمع ونوع التعليم الذى يسود فيه، وأن المناهج التعليمية ظل لنفسية واضعيها وعقائدهم، وأن الإسلام يختلف شكلا ومضمونًا عن المبادئ التى تسود فى الغرب، وأنهم يحاولون إفسادنا لتسهل سيطرتهم علينا من خلال إفساد مناهج التعليم فى بلادنا.

أقول : إذا كان كل هذا قد صار واضحًا لنا، وقمنا بسوق الأدلة عليه ما أمكن، تبين لنا من الوجهة الموضوعية أن الوضع القائم فى مناهج التعليم فى البلاد الإسلامية، والذى تأثر بالوجهة الغربية، يُعَدُّ خطأ كبيرًا، وأن من يدعو الناس إليه، أو يحملهم عليه خائنًا لأمانة الأجيال التى سلمتها له الأمة لينفعها لا ليضرها، وليهديها لا ليضلها.

***



٣ـ تقييم الوضع القائم فى التعليم من الوجهة الإسلامية

لا يختلف تقييم الوضع القائم فى التعليم من الوجهة الإسلامية عن تقييمه من الوجهة الموضوعية، وذلك لأن الإسلام رسالة الله إلى البشر، ومن ثم لا يُتَصوَّر وجود تعارض بين صالح البشر، وما أنزله صاحب القوى والقدر.

يقول أحد الصالحين: "أرنى أمرًا ذا فطرة أقل لك هذا هو الإسلام".

ويقول غيره: "إذا كانت المصلحة فثم الشرع".

غاية ما هنالك أننا نسوق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن غيرهما الأدلة والبراهين التى تؤيد اتفاق المنقول مع المعقول فى هذه القضية.

ويمكن أن نلخص كلامنا حول هذا المبحث فى النقطتين التاليتين:

١ـ دعوة الإسلام أتباعه إلى التميز واستقلال الشخصية.

٢ـ موقف الإسلام من الاقتباس والنقل عن الغير.

وفيما يلى نوضح كل نقطة منهما بشىء من التفصيل، ونبدأ بالنقطة الأولى منهما.

لقد شاءت إرادة الله تعالى أن يجعل أمة الإسلام ذات فضل على ما سواها من الأمم.

يقول الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (١).

ويقول عز من قائل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٢).

ويقول سبحانه: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٣).

ولن تتحقق للأمة الإسلامية خيرتها ووسطيتها وعلوها ما لم تحافظ على كيانها، وتحول دون الذوبان والدوران فى فلك الآخرين، وذلك لأن التقليد ينمُّ عن هزيمة داخلية، ويعطى انطباعًا عن أن صاحبه قد مال بقلبه إلى غير الله ورسوله، فانطلقت أعماله الخارجية تحكى ما بداخله، وتعبِّر عما فى نفسه.

ولذلك دعا الإسلام أتباعه إلى التميز واستقلال الشخصية، وحرَّم عليهم التشبه والتقليد للآخرين، وهذه بعض الأدلة الداعية إلى ذلك.

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) البقرة: ١٤٣ .

(٣) آل عمران: ١٣٩.



١ـ فى سورة الفاتحة التى يكررها المسلم فى كل ركعة من صلاته يدعو بهذا الدعاء: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (١).

وفى هذا القول الكريم ما يشير إلى اعتماد الإسلام طريق الله الذى لا اعوجاج فيه، وهو الطريق الذى سار عليه السابقون ممن أنعم الله عليهم، لا طريق المغضوب عليهم ممن عرفوا الحق وحادوا عنه، أو الضالين ممن لم يعرفوا الحق أصلا، وفى هذا ما يدل على التميز الذى نشير إليه.

٢ـ فى قصة القِبلة وما جرى بشأنها من التوجه فى بداية الأمر إلى بيت المقدس، ثم التحول عنه إلى بيت الله الحرام تأكيد على هذا المعنى أيضًا(٢).

---

(١) الفاتحة: ٦-٧.

(٢) وجه التميز فى أمر القبلة أن النبى ﷺ والمسلمين أُمروا فى بدء الأمر بالتوجه إلى بيت المقدس، حتى لا يقال – إذا ما توجهوا إلى البيت الحرام – إرث ورثوه عن آبائهم وأجدادهم لا باعتباره بيت الله. ونفذ المسلمون هذا الأمر رغم ما أصابهم من اليهود من حرج، حيث كانوا يدّعون أن دينهم هو الدين، وقبلتهم هى القبلة، وأنهم – لذلك – لا يحتاجون إلى هذا الدين الجديد، بل الأولى للمسلمين أن يتبعوهم، وظل الحال هكذا ستة عشر شهرًا، ثم جاء الأمر بالتوجه إلى بيت الله الحرام، ليتميز المسلمون فى هذه المرة عن اليهود، بعد أن تميزوا فى المرة الأولى عن المشركين .

يقول الأستاذ/ سيد قطب: "إن القبلة ليست مجرد مكان أو جهة تتجه إليها الجماعة فى الصلاة، فالمكان أو الجهة ليس سوى رمز: رمز للتميز والاختصاص، تميز التصور، وتميز الشخصية، وتميز الهدف، وتميز الاهتمامات، وتميز المكان"(١).

٣ـ وتكرر فى السنة المطهرة ما يدعو إلى التميز عن جميع الفئات التى كانت معروفة آنذاك.

أ ـ ففى مخالفة المشركين عامَّة جاء فى الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: **[خالفوا المشركين، وفروا اللحى، وأحفوا الشوارب]** (٢).

ب ـ وفى مخالفة المجوس جاء فى الحديث عن أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: **[جزوا الشوارب، وأرخوا اللحى، خالفوا المجوس]** (٣).

ج ـ وفى مخالفة اليهود والنصارى جاء فى الحديث عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء، وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله: إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى؟ فقال رسول الله ﷺ: **[فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع..]**(٤).

---

(١) فى ظلال القرآن، ١٢٩/١، طبعة عاشرة سنة ١٩٨١م – دار الشروق.

(٢) أخرجه البخارى، ٣٩/٤، كتاب اللباس – باب تقليم الأظافر/ وأخرجه مسلم بنحوه، ٢٢٢/١، كتاب الطهارة – باب خصال الفطرة.

(٣) أخرجه مسلم، ٢٢٢/١ – كتاب الطهارة – باب خصال الفطرة / وأخرجه أحمد ، ٣٦٦/٢.

(٤) أخرجه مسلم، ٧٩٨/٢، كتاب الصيام – باب أى يوم يصام فى عاشوراء .



ولئن كان الأمر بورود المخالفة قد اقترن بسبب معين في هذه الأحاديث، وهو توفير اللحى وقص الشوارب في الحديثين الأوليين، وصيام عاشوراء في الحديث الثالث، فإن العبرة بعموم اللفظ، فيصلح الاستدلال بهذه الأحاديث على أهمية المخالفة وضرورتها في هذه المواقف أو في غيرها.

ويؤيد ذلك ما جاء في الحديث عن أنس بن مالك ﷺ أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوهن في البيوت(١)، فسأل أصحاب النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٢)، فقال رسول الله ﷺ: [إصنعوا كل شيء إلا النكاح] فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه....."(٣).

(١) لم يجامعوهن في البيوت: لم يخالطوهن ولم يساكنوهن في بيت واحد .

(٢) البقرة: ٢٢٢.

(٣) أخرجه مسلم، ٢٤٦/١، كتاب الحيض - باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله، وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها، وقراءة القرآن فيه.

ويؤيده كذلك ما ورد فى صحيح الحديث من ذم التقليد والتبعية على الإطلاق، وذلك فى حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال: **[لتتبعن سنن من قبلكم، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جحرضب [1] لسلكتموه.** قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: **فمن؟** [2] وفى حديث عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **[من تشبه بقوم فهو منهم]** [3].

ونستخلص من مجموع هذه الأحاديث أن الإسلام يحث أتباعه على التميز واستقلال الشخصية، ويحول دون وقوعهم فى فلك الآخرين والتقليد الأعمى لما يصدر عنهم، أو يأتى منهم[4].

(١) جاء فى تعليق الإمام ابن حجر العسقلانى على هذا الحديث قوله: " التخصيص إنما وقع لجحر الضب لشدة ضيقه ورداءته، ومع ذلك – فإنهم لإقتفائهم آثارهم، واتباعهم طرائقهم – لو دخلوا فى مثل هذا الضيق الردئ لتبعوهم "أ.هـ. فتح البارى، ٢٥٩/١٣، طبعة سنة ١٩٧٨م – مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) أخرجه البخارى، ٢٥٧/٢، كتاب أحاديث الأنبياء – باب ما ذكر عن بنى إسرائيل/ وأخرجه مسلم، ٢٠٥٤/٤، كتاب العلم – باب اتباع سنن اليهود والنصارى .

(٣) أخرجه أبو داود، وسكت عنه، ٣٩٩/٢، كتاب اللباس – باب فى لبس الشهرة / وأخرجه أحمد، ٥٠/٢.

(٤) للإمام ابن تيمية كتاب يسمى [اقتضاء الصراط المستقيم فى مخالفة أصحاب الجحيم] خصصه لبيان مسألة تقليد الكفار ومظاهرها فى حياتنا، فليرجع إليه من أراد المزيد .



والتعليم – بصفة خاصة – له دوره فى تشكيل عقلية صاحبه، وتغيير نظرته إلى الأشياء(١).

يقول السيد أكبر حسين الإله بـــادى: "ســتنقلب القلــوب بـــانقلاب التعليم(٢).

ويقول المفكر الإسلامى محمد إقبـــال: "إياك وأن تكون آمنًا من العلم الذى تدرسه، فإنه يستطيع أن يقتل روح أمة بأسرها"(٣).

وعلى ذلك فإنه من غير الجائز شرعًا أن يتحلل المسلمون عن هدى دينهم بصفة عامة، وعن مناهج الإسلام فى التعليم بصفة خاصة، وأن الذين يفسحون المجال لمناهج الغرب كى تغزوا بلاد المسلمين يخونـــون أمانـــة الأجيال المسلمة، ويتحملون – لذلك – أكبر الإثم، وأعظم الوزر، وصـــدق الله إذ يقول: ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾(٤).

وعلى ذلك فإن الشعوب الإسلامية لو فُرِضَ وعاشت فى أمية لكـــان خيرًا لها من استيراد هذا التعليم الذى يقتل روحها، ويصيبها فـــى أغلـــى ما تملك وهو عقيدتها ودينها، فإن أمية الشخص فى القراءة والكتابة وسائر المعارف مع بقاء دينه، خير له – دون شـــك – مـــن أن يحمـــل أرقـــى الشهادات، وهو يجهل رسالته فى الحياة، ولا يدرى مصيره بعدها.

---

(١) راجع – مع ما ذكرته هنا -٠ ما ورد فى المقدمة كدليل على هذه الحقيقة .

(٢) الحضارة الغربية الوافدة، وأثرها فى الجيل المثقف، ص٢٣، أبو الحسن الندوى .

(٣) روائع إقبال، ص٧٦، أبو الحسن الندوى .

(٤) البقرة: ١٩١ .

فإن قيل: وهل يمنع الإسلام أن نقتبس من غيرنا وننقل ما نراه نافعًا لأمتنا؟

وهذا ينقلنا إلى النقطة الثانية فى مبحثنا هذا.

ويجاب عن هذا بأن ثمة أشياء وعلوم لا تصطبغ بعقائد أصحابها ولا بأفكارهم، ولا تؤثر فى سلوك صاحبها، ولا تغير من نظرته إلى الكون وخالقه، وذلك مثل العلوم الكونية، والاكتشافات والمخترعات بشتى ألوانها، وإنما غايتها اكتشاف القوانين الخاصة بالكون والحياة، مما يزيد من سيطرة الإنسان على قوى الطبيعة، وزيادة الانتفاع بها. هذه الأشياء لا حرج على المسلمين أن يقتبسوها من غيرهم، لا سيما وأنهم – فى الأصل – روادها، وواضعوا بذورها الأولى، فما تقطفه حضارة الغرب اليوم من تقدم مادى ليس ملكًا لها وحدها، بل هو نتيجة خبرات أسهمت فيها جميع الشعوب، حتى وصلت مع التطور إلى ما وصلت إليه الآن.

ويؤيد ذلك ما كان من أمر المسلمين الأوائل، وعلى رأسهم رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، فلقد استفاد النبى ﷺ من أسرى بدر فى تعليم أبناء المسلمين القراءة والكتابة، وقام بحفر الخندق حول المدينة وهو أسلوب من أساليب الفرس، وصنع له نجار رومى منبره الشريف فخطب عليه.

واستفاد أصحابه الكرام من الفرس والروم وغيرهم نظم البريد والعملة وطريقة جباية الخراج والجزية، وأخذوا بفكرة التاريخ والدواوين، وغير ذلك، دون أن ينكر عليهم أحد من أهل العلم هذا التصرف.



لكن حين رأى النبى ﷺ فى يد سيدنا عمر صحيفة من التوراة اشتد غضبه، وتكلم معه بنبرة فيها حدَّة قائلا له: "**أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذى نفسى بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية]**...إلخ الحديث، وقد مَّر ذكَّره فيما مضى.

والسرُّ فى هذا الموقف من رسول الله ﷺ - وهو الموصوف بأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم - أن الأمر يتعلق بشىء من العلم يؤدى إلى الإضطراب والبلبلة فى نفس المسلم، فكان النبى المصطفى ﷺ أن حسم الموقف، وحال دون ذلك.

وعليه فلا ضير من أن يستفيد المسلمون من تجارب غيرهم وعلومهم ما يزيدهم قوة على قوتهم(١).ولكن على أن يتصرفوا فيها، ويخضعوها لهم،

(١) فى الوقت الذى يسعى فيه أعداء الإسلام إلى نشر ثقافتهم الداعية إلى التحلل من القيم، والمشجعة على الإباحية نراهم يضربون سورًا من حديد على علومهم التطبيقية والتجريبية لعلمهم بأن مثل هذه العلوم إذا استفاد منها المسلمون سيزدادون قوة، وهم يكرهون لهم ذلك، ومن ثم يبخلون بعلومهم علينا، ويلاحقون المتفوقين من المسلمين فى هذه العلوم، وذلك بإغرائهم بالهجرة إليهم، فإذا تمسكوا بأوطانهم لاحقوهم وضيقوا عليهم، وربما صفوهم جسديًا.

وأذكر من هؤلاء العلماء الذين اغتيلوا بأيدى غير المسلمين نتيجة تفوقهم العلمي:

١ــ د/ على مصطفى مشرفة. عالم الذرة المصرى، الذى ينسب له فضل اكتشاف نظرية النسبية، وقيل إنه مات مسمومًا. =

= ٢ــ د/ سميرة موسى، تلميذة الدكتور مشرفة، وعالمة الذرة، والتى قتلت فى حادث سيارة غامض بأمريكا.

٣ــ هدى برادة، عالمة الذرة المصرية التى قتلت فى الولايات المتحدة أيضًا فى ظروف غامضة.

٤ــ د/ يحيى المشد، عالم الذرة المصرى، الذى كان يعتبر أبًا للبرنامج النووى العراقى، وقد ذبح بأيدى عملاء الموساد فى باريس. =

وليس العكس، وأن يبعدوا عنها عناصر المادية والأنانية واللادينية ويأخذوها كمادة خام، ويعيدوا تشكيلها بما يتفق مع تعاليم دينهم، ويحافظ على كيانهم واستقلالهم.

* * *

٥ـ د/ سعيد بدير. عالم الصواريخ والأقمار الصناعية، الذى كان واحدا من علماء قليلين فى العالم فى هذا المجال، والذى قُتل فى وضح النهار فى شقته بالإسكندرية.

وهؤلاء العلماء الذين ذكرتهم جميعهم من مصر، وإلا فالأيدى الأثمة لأعداء الإسلام لا تدع مبدعًا فى هذه المجالات فى أى قطر إسلامى دون محاولة استقطابه للهجرة إليهم أو قتله.

انظر: (قضايا دولية) العدد ٣٣١ – السنة السابعة – ٢٥ ذو الحجة سنة ١٤٠٦هـ – ١٣ مايو سنة ١٩٩٦م – تقرير سياسى أسبوعى يصدر عن مركز الدراسات السياسية بإسلام أباد.



الخاتمة

وبعـــــد:

فقد استهدفت هذه الدراسة التأكيد على الدور الهام الذى يؤديه التعليم فى صناعة الأمم، وتشكيل عقلية الأفراد. وقد وضح لنا أن الإسلام لم يكن بمعزل عن هذا المجال الهام، فكانت له توجيهاته التى تجعل من العلم أداة لنفع البشرية فى حاضرها ومستقبلها.

لكن المسلمين فى إطار التخلف الذى شمل كافة أرجاء حياتهم تخلوا عن منهاج ربهم، واستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير، وأخذوا مناهج التعليم الغربى على حساب المنهاج الإسلامى، فلم يزدهم ذلك إلا مزيد من التخلف والرجعية.

وفى إطار المحاولة للنهوض بالشعوب المسلمة لاستعادة ما كانت عليه من عزٍّ ومجد يبقى إصلاح التعليم على الأسس الإسلامية هو المفتاح، والخطوة الأولى الصحيحة على الطريق.

ولتحقيق هذا الأمل تبقى الأمانة فى عنق الساسة وولاة الأمر لاتخاذ القرارات اللازمة لإصلاح ما فى التعليم الحالى من اعوجاج، ويليهم فى المسئولية من يتصدون للعملية التعليمية من خبراء ومفتشين ومدرسين وغيرهم لإعادة صياغة المناهج بما يحفظ للأمة عقيدتها، ويصون شريعتها.

وعلى سائر القطاعات أن تتحمل دورها هى الأخرى فى إنقاذ الأجيال من الضياع، فمع المدرسة يأتى دور الأسرة ووسائل الإعلام المختلفة والأنشطة الاجتماعية وغير ذلك، بحيث لا يهدم قطاع منها ما يبنيه الآخر. وفى ظل الصحوة الإسلامية المعاصرة أدرك الناس ما للتعليم من أهمية فى ترشيد الصحوة، والسير بها قُدُمًا إلى الأمام، فوجدت المدارس الإسلامية طريقها إلى الظهور فى كثير من بلاد العالم الإسلامى، وهذه المدارس – وإن كانت تعانى من مضايقات وضعف فى الإمكانات – فإنها خطوة على الطريق: طريق العودة إلى الإسلام، والذى بدت ملامحه واضحة لكل ذى عينين.

أسأل الله تعالى أن ينصر الإسلام ويعز المسلمين، وأن يجعلنا أداة لنشر الخير وفعل الخير، وأن يجزى عنى والدىَّ وأساتذتى خير ما يجازى به عباده الصالحين، وأن يبارك لى فى أهلى وذريتى، وأن يجعلنا من عباده الصالحين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



محتويات الكتاب

مطابع الأهـرام التجاريـة - قليوب



يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن يقدم للقارئ المسلم مجلة «منبر الإسلام» فى ثوبها الجديد تفتح آفاقها على كل جديد ومفيد.. تقدم الفكر المستنير الذى يبنى الشخصية المسلمة.. تخاطب الروح والعقل بموضوعاتها المتنوعة وهديتها مجلة الفردوس «مجلة الطفل المسلم» التى تحمل تطلعات الجيل الجديد.

كما يسر المجلس أن يزود المكتبة الإسلامية فى جميع أنحاء العالم العربى والإسلامى بإصداراته المتنوعة من أمهات كتب التراث الإسلامى والموسوعات المتخصصة بالإضافة إلى المنتخب فى تفسير القرآن الكريم باللغة العربية واللغات الأجنبية: «إنجليزية ـ فرنسية ـ ألمانية ـ روسية ـ إسبانية ـ إندونيسية» وغيرها من مؤلفات كبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى.

الاشتراكات: يخاطب بشأنها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٩ شارع النباتات ـ جاردن سيتى
قيمة الاشتراكات السنوية (١٢ عدداً)
أولا: داخل مصر (٣٠ جنيها مصريا).
ثانيا: خارج مصر كالآتى: دول عربية وأفريقيا (٩ دولاراً أمريكياً) دول أوروبية (١١ دولاراً أمريكياً). دول أمريكا وكندا وآسيا (١٤ دولاراً أمريكياً). أمريكا الجنوبية واستراليا: (٢٢ دولاراً أمريكياً).

رئيس مجلس الإدارة
أ.د. طلعت محمد عفيفى

رئيس التحرير
أ.د. محمد نجيب عوضين المغربى

القاهرة ـ ٩ شارع النباتات ـ جاردن سيتى

Website : WWW.islamic- Council. org- WWW.islamic- Council. com
E-mail : Islamic_Council _ eg@yahoo.com

الثمن ١٠٠ قرش